العلّامة

الشيخ موسى أمين شرارة

العلّامة
الشيخ موسى أمين شرارة

١٢٦٧هـ/١٨٥١م. ـ ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م.

بقلم

العلّامة السيد محمد رضا فضل الله

١٢٨١هـ/١٨٦٤م. ـ ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.

قـدّم لـه

الدكتور حسن فضل اللّه


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور حسن فضل الله

يشع التراث العاملي من بين ثنايا تاريخ يزهو بالبطولات والأمجاد، عمائم ويزهر أنامل، تجلي بمدادها ظلمة الجهل، وتضيئ العقول بنور العلم، تشق عباب الصعاب كأنها مرهفات صارمة تكسّر القيود وتحرر النفوس، ماضية على حدّها، لا تنثني مهما توالت عليها حروب طاحنة، وتطاولت صروف دهر قاسية.

تتوارث جيلاً بعد جيل، وتظلّ مرابطة على ثغور الفكر تذود عن حياض الجبل، تقاوم كلّ غزو، ولا يلقى الغزاة منها إلا صدوداً وصدودا. ترفرف رايتها عالية، لا الريح العاتية تزحزحها، ولا خطوب الزمان تبدّل وجهتها.

تنغرس في الأرض صروح علم، محكمة مبانيها ثابتة ركائزها، كأنها هضاب الجبل العاملي وروابيه، لا تميد ولا

تحيد، وقد أرسيت منارات شامخة يتلألأ شعاعها، يلوّن الأفق إلى أي مدى امتدّ وميضه، وحيث خطّ من خطوطه للأبجدية حروفاً، ورسم من سَناه للراغبين معالم الطريق.

من بين طوايا العمائم وبنان الأنامل وجدران الصروح، تنساب ينابيع ثقافة، يتجلّى فيها العلم بأبهى صوره، وقد تجسَّد أسماء لامعة ترصع جبين الجبل، وترتقي به علواً وشموخاً. تنشره على الكون نموذجاً، فتطرق أسماعنا بنظمٍ وشعرٍ فيه سحر البيان وفصاحة اللسان وجزالة الكلام من غير إخلال ولا إملال. يتفتقان بإتقان ومن دون صنعة، لغة سلسة تعابيرها، متينة ألفاظها، قوية معانيها. تستوفي ما اشترط من خلوص الكلام من التعقيد، وبلوغ العبارة ما في كنه النفس، وتلك هي البلاغة، وقد تهادت نصوصاً تُحاكي معارف الحياة ووقائع الأحداث وصورة الزمان.

في هذا الجبل العاملي انعقد رابط وثيق بين النهضة بأوجهها المتنوعة وأزمنتها المديدة، ودور علماء الدين في شتى الميادين، وفاعليتهم في مجالات الحياة، فأيُّ حديث عن نهوض في جبل عامل أو استنهاض أو تطور وإصلاح، يستتبع الحديث عن العلم والتعليم والمدارس والعلماء، والعكس صحيح.

إن أبرز ما يمتاز به جبل عامل هو مكانته العلمية والأدبية المرموقة، وأدواره السياسية المتنوعة في نطاقه الجغرافي ومحيطه الإقليمي، فطيلة قرون مضت ظلّ ثابتاً على هذه المكانة، من دون أن تحدّ منها التقلبات السياسية والمتغيرات الديموغرافية التي عصفت فيه من داخله وعلى حدّيه من جهة الجنوب فلسطين ومن جهة الشمال بلاد الشام، ومنها لبنان الحديث الذي كان الجبل العاملي أحد مكوناته المؤثرة، وصار يعرف بجنوب لبنان.

تستند هذه الميزة إلى مجموعة عوامل أبرزها:

الهوية الدينية، والمخزون الثقافي، والبيئة الشعبية الحاضنة.

أحد الأوجه المعبّرة عن هذه المكانة، هو التعليم ودوره في الحياة العاملية وإسهامه في النهوض السياسي والاجتماعي والثقافي، وهو لم ينتظم ويأخذ موقعه إلا من خلال المدارس التي يتم فيها إعداد علماء الدين، وتهيئتهم لتأدية وظائفهم في الحياة العامّة وتولي قيادة المجتمع، وقد ازدهرت هذه المدارس في جبل عامل، وصارت إحدى علاماته الدّالة عليه، وتركت تأثيرات عميقة على البنية الاجتماعية والثقافية، وعلى الشؤون السياسية والاقتصادية، التي ترتبط بشكل وثيق بالأدوار

التي تؤديها المدرسة الدينية، وبآراء علماء الدين ومواقفهم وتوجّهاتهم.

لقد تبوّأ هؤلاء العلماء مواقعهم على رأس الهرم الاجتماعي، باعتبارهم حَمَلة الرسالة الدينية والمؤتمنين على نشرها وتطبيقها، فهم وفق الفهم العام الأكثر معرفة بأحكام الدين وتشريعاته، فإليهم المرجع للبت بقضايا المجتمع وتوجيهه وإرشاده، وإليهم مآل أموال الحقوق الشرعية التي يصرفونها على شؤون الناس، وهو ما مكنّهم من التحوّل إلى سلطة مستقلّة قويّة تعلو كل السلطات، ولا تخضع للسلطات القائمة سواء أكانت دولة أو زعامة أوقوة سياسية.

يستمدَّ علماء الدين هيبتهم وسلطتهم المعنوية من رمزيتهم الدينية ولصلتهم بالعلم والتعليم، وهم يؤدّون ادواراً داخل مجتمعهم تنسجم مع تلك السلطة المهابة الجانب من الحكام، والمحترمة من الناس الذين يلتزمون بقراراتها في شوؤنهم وقضاياهم.

لم يقتصر نشاط العلماء على تفسير الأحكام أو الوعظ والإرشاد، بل شمل كل ما يتصل بالشأن العام، انطلاقاً من التفسير المعطى للإسلام بانه دين الحياة، وهذا ما ترجمه علماء

الدين العامليون في انشطتهم المتنوعة، وأدوارهم في الظروف المختلفة. في أزمنة الحرب والسلم، في ميادين السياسة والفكر أو الاقتصاد والتربية والتعليم، أو في ميادين الأدب والشعر، وهذا ما مكّنهم من المحافظة على ديمومة الوجود وتثبيت الموقعية السياسية ومنع استلاب الهوية الثقافية.

لقد انعكست تأثيرات ذلك كلّه على حراك المجتمع العاملي وعلى شخصية أبنائه التي يمكن فهم خصائصها وميزاتها من خلال تراكم العوامل المؤثرة، ما جعلها تتفاعل على الدوام مع القضايا العامة، سواء كانت على المستوى الوطني أو على المستوى الديني، لأنها شخصية تربّت على الانتماء إلى قضايا الأمة أكثر من انعزالها في بيئة ضيقة. إنّ من بين الدلائل على ذلك مسارعة أبناء الجبل العاملي إلى الاندماج في كل قضية وطنية أو قومية تتجاوز حدودهم الجغرافية وقضاياهم القطرية، وقد تكون قضية المقاومة ضد الاحتلال إحدى تجليات هذا الالتزام. فالمقاومة جاءت وليدة هذا التراكم التاريخي، وشكلت امتداداً طبيعياً لهذا الإرث الثقافي الذي حفظه العلماء وتناقلته الأجيال.

يمكن رصد محطات تاريخية متّصلة على مدى قرون من

الزمن، برز فيها فقهاء وعلماء وشعراء، كان لهم تأثير كبير على تحولات جوهرية في البنيان الثقافي والاجتماعي وعلى المتغيرات السياسية، وهي تأثيرات تراكمت مع الزمن وصولاً إلى عصرنا الحالي.

إحدى هذه المحطات الفترة الفاصلة بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي، حيث انبعثت فيها نهضة علمية بابعاد سياسية، وتأسّست عليها مرحلة تاريخية امتدّت إلى زماننا، في ظل تحولات كبرى كانت تتلاحق مع بداية النهاية للدولة العثمانية وبداية الاستعمار الفرنسي، إذ كان جبل عامل على خط نار هذه التحولات التي ظهرت فيها تقسيمات جديدة للخارطة الجغرافية، ونشأت دول واندرست اخرى، وبدأت ملامح المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين تفرض وقائع جديدة، أدرك أبناء الجبل مبكراً مخاطرها وانعكاساتها على أوضاعهم وأوضاع أمتهم.

كان روّاد هذه المرحلة علماء دين فقهاء وأدباء وشعراء، وميدان نشاطهم هو إصلاح أوضاع المجتمع للخروج به من حالة الركود، بدءًا من التعليم ومناهجه إلى الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية، وصولاً إلى الأدب والشعر وأغراضهما.

ارتبط هؤلاء العلماء بوشائج علاقة صداقة وتعاون لمواجهة هموم وقضايا مشتركة، تلقوا تعليمهم في بيوت المشايخ المدرسين، أو المدارس التي يؤسسها علماء أنهوا تعليمهم في جبل عامل، أو أكملوا دراستهم في النجف الأشرف، ثم التقت مجموعة من بينهم تحت سقف مدرسة واحدة أنشأها عالم عاملي كان له دور بارز في زمانه وما بعده، وهو العلامة الشيخ موسى أمين شرارة.

لقد بدأ الشيخ شرارة حياته العلمية في جبل عامل ثم أكملها في النجف الأشرف، وعاد منها عالماً بارزاً وفقيهاً لامعاً، وباشر تحركاً في الوسط العلمائي، لتهيئة أرضية مؤاتية لمشروعه التعليمي الإصلاحي، مستفيداً من الإمكانات العلمية التي توفرت لديه، ومما اكتسبه من رحلته العلمية في النجف الأشرف من مناهج وعادات، وهي الرحلة التي تزامنت مع ازدهار الحوزة النجفية، على يد كبار المراجع والأساتذة آنذاك.

كانت أولى خطوات الشيخ إيجاد إطار للتعاون مع طليعة علمائية كانت في مدرسة حناويه، وقد ابتدأها بالدخول في تجربة اختبار معها لتبيان مقدرته العلمية، وأهليته لقيادة مشروع تعليمي أوسع مما هو موجود في المدارس المعروفة حينها.

أدرك الشيخ شرارة مبكراً أهمية التلاقي مع رغبة علماء بارزين آنذاك كانوا يطالبون بتعزيز التعليم في الجبل، فكان عليه أن يعمل على الجمع بين الاتجاهين الموجودين وهما:

- الاتجاه المتمسك بأولوية التعليم في جبل عامل.

- الاتجاه الذي يفضّل حوزة النجف الأشرف.

نجح الشيخ شرارة في جمع تلك الطليعة التي زاوجت في عملها بين ترتيب أوضاع التعليم، وتطلعاتها للنهوض بالمجتمع العاملي، فالتحقت بالمدرسة الدينية التي انشأها في بنت جبيل واستقطب فيها الطلاب من الجبل العاملي وخارجه، وتحولت تلك الطليعة إلى رعيل من العلماء الفقهاء علّموا وتعلّموا في المدرسة ذاتها، لما وجدوه فيها من إمكانات تؤهلهم لدراسة العلوم في المراحل العليا، ومن ميدان رحب للتعبير عن ارائهم العلمية ونشرها بين طلابهم، والانخراط في بيئة علمية ثقافية كانت تنشط في عقد حوارات ومناظرات حول شؤون المجتمع والأمّة، وضمَّت لائحة هذا الرعيل أبرز علماء جبل عامل في تلك الحقبة، ممن كان لحضورهم في الحقل العام تأثير كبير على استنهاض حال التعليم، وعلى التحولات الفكرية والثقافية والأدبية والمتغيرات السياسية التي شهدها جبل عامل خصوصاً

وبلاد الشام عموماً، وظلّت آثارها بادية على الأجيال الناشئة على الرغم من التبدلات السياسية والتقسيمات الجغرافية التي أفرزت دولاً وأنظمة جديدة.

أدّت هذه المدرسة دوراً نهضوياً على مستوى جبل عامل وبلاد الشام، فعلى الرغم من قصر مدتها، ما بين تأسيسها ووفاة صاحبها، إلا أن شهرتها تجاوزت الأرجاء العاملية، فاستفاد منها اغلب علماء تلك المرحلة، وقد أدخل الشيخ إليها منهجاً جديداً في التدريس، لم يكن متعارفاً عليه وقتها، ووجد الفرصة مؤاتية للبدء بمرحلة جديدة من التعليم يأخذ من القديم ما يناسبها، ويحافظ على الأصالة من دون التجمد أمام الموروث. وكان قد اعتمد التجديد التدريجي، ولم يتوان عن إعادة النظر بطرائق التدريس، ومدة دراسة اللغة العربية التي كانت تستغرق وقتاً طويلاً وتستهلك سنوات من عمر الطالب، وإدخال كتب جديدة على المنهج.

لم يقتصر دور الشيخ شرارة على الاهتمام بالتعليم من خلال إنشاء المدرسة إلى التحسينات الكبيرة على التدريس، إنما تعدّاه إلى المجتمع بأسره، فالوعظ والإرشاد في المجالس العامة، وترتيب مجالس العزاء في أيام عاشوراء، وتلاوة خطب

نهج البلاغة فيها، وسن مجالس الفاتحة لوفيات العلماء، كانت من الانشطة التي داوم عليها الشيخ في بنت جبيل وجوارها.

كما سعى إلى تعزيز أواصر الوحدة الإسلامية في مرحلة تاريخية كانت تشهد تحولات كبيرة، مع تضعضع الدولة العثمانية، وتفتت أواصرها، وصراع ولاتها وحكامها، لذلك كان هم الشيخ شرارة تعزيز التقريب بين المسلمين السنّة والشيعة، فغلب على حواراته معهم هذا الشأن.

أما في الشأن الأدبي فكان له الدور البارز في تجديد أساليب الشعر والأدب، ومعلوم أن سوقهما كان مزدهراً في عصره، لكنه كان مقتصراً على طرق تقليدية باعتماد ألفاظ معيّنة في الغزل والمديح والرثاء، فطرق الشيخ أبواباً جديدة، وعقد مجالس تُتلى فيها الأشعار وتُنتقد، فصار الشعراء يغيِّرون في أساليبهم ويحسِّنون قصائدهم.

أدّت هذه الشخصية العلمائية أدواراً في ميادين مختلفة من التربية والتعليم، إلى الوعظ والإرشاد، وصولاً إلى استنهاض الحالة العامة، في إطار نشاط علمائي أوسع من خلال صلاته بعلماء عصره، وحركته الاجتماعية وهو ما ظهر في تأثيراته المباشرة على جيل من العلماء، سواءً من شاركوه نهضته أو من

تتلمذوا على يديه أو في مدرسته، والذين حملوا من بعده شعلة التعليم وأبقوها متقدة.

برز من بين هؤلاء العلماء شخصية علمية وأدبية، احتلت موقعاً مرموقاً في تاريخ جبل عامل، وفي النجف الأشرف، والتي بدأت مسيرتها العلمية من مدرسة الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل، وأرّخت له في رسالة خاصة، ونقلت لنا معالم تلك المرحلة؛ إنها شخصية العلاّمة الفقيه السيد محمد رضا فضل الله، فهو شارك أستاذه في حمل راية النهضة والإصلاح، وكان له الدور البارز على المستويين الفقهي والأدبي.

هو أحد أعلام جبل عامل بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد علماء النجف الأشرف المشهورين، الذين عرفتهم حلقات المراجع الكبار، وعند العديد من هؤلاء تتلمذ العلاّمة فضل الله، مسهماً في نهضة علمية وأدبية، وفي حراك علمائي تبينه مواقفه التي اطلقها في كتاباته، وأبرزها إعطاء الدور القيادي لعلماء الدين ليس على المستوى التبليغي والوعظي فحسب، إنما على مستوى ادارة شوؤن الأمة وقيادتها في كل المجالات. لأن الفقهاء يمثلون الامتداد الطبيعي لقيادة النبي(ص)، والأئمة من بعده، فهم

نواب الإمام الغائب. «لهم الرياسة العظمى والنيابة الكبرى» وفق ما كرّسه في أطروحته الفكرية.

هذه الشخصية تحتاج مقاربتها إلى دراسة مستقلّة لتبيان إسهاماتها في إعلاء شأن العلم والعلماء ودورها في بث المعرفة والوعي، وهي التي قدّمت لنا من خلال نتاجها الفكري والأدبي ما يثري المكتبة العلمية، من بين هذا الانتاج ما يظهر ملامح مرحلته لجهة ما كان يدور في حلقات العلماء ومدارسهم، ومن بينها المرحلة التي عاش فيها الشيخ موسى شرارة سواء في النجف الأشرف أو في جبل عامل.

المؤلّف
العلاّمة السيد محمد رضا فضل اللّه

الفقيه الشاعر:

ولد السيد محمد رضا في عيناثا عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤م. من أسرة علمية معروفة.

بدأ دراسته في بلدته، فأتمّ قراءة القرآن وتعلّم مقدمات اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأوليات الفقه، قبل أن يلتحق بمدرسة بنت جبيل، وبقي في هذه المدرسة إلى حين وفاة صاحبها وإقفال أبوابها.

توجه نحو النجف الأشرف لمتابعة تحصيله العلمي، سنة ١٣٠٨ هـ/ ١٨٩٠م. وبقي فيها حوالى اثني عشر عاماً[(١)]، حيث انضم إلى حلقات الدرس لدى كبار مراجع وفقهاء تلك

(١) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ٩، ص ٢٩١.

الحقبة، وواظب على التحصيل في الفقه والأصول حتى بلغ مرتبة علمية مرموقة، «فهو عالم كبير، نال مقاماً كبيراً عند المراجع العليا، واتجه إلى الاستفادة منه فريق من الفضلاء»[1].

حظي السيد محمد فضل الله بموقع مرموق في مدرسة النجف، وصار واحداً من الأعلام الفقهية والأصولية، بعدما استوطن تلك المدينة لسنوات طويلة قضاها في الدرس والتدريس، والتحرك من ضمن البيئة العلمية لفقهاء ذلك العصر، لإرساء مداميك النهضة الإصلاحية للحوزة الدينية.

لقد انخرط العلاّمة فضل الله في شؤون الحوزة وأدوار مراجعها، وفي طليعتهم الإمام المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي[2] صاحب الفتوى الشهيرة بتحريم التنباك في إيران،

---

(١) علي الخاقاني، **شعراء الغري**، ج ١٠، ص ٤٤٧.

(٢) آية الله المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي (١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م. ـ ١٣١٢/ ١٨٩٥م.)، ولد في شيراز ودرس فيها أوليات العلوم، وانتقل منها إلى أصبهان لاستكمال الدراسة فقرأ على بعض أساتذتها قبل أن يهاجر إلى النجف الأشرف في عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. درس عند صاحب الجواهر واختص بأستاذه الشيخ مرتضى الأنصاري، وبعد وفاة أستاذه انعقد له لواء المرجعية وزعامة الحوزة الدينية، وقد توسعت إلى أصقاع العالم الإسلامي، نقل مركز مرجعيته إلى سامراء عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م.

كان درسه في النجف الأشرف أو في سامراء عامراً بالفقهاء والعلماء وتخرج عليه عدد كبير ممن تسلموا زمام المرجعية. عرف بمواقفه المناهضة للاستعمار، =

وتدلّ الرسالة التي كتبها السيد فضل الله في الإمام الشيرازي، وما تضمنته من رؤية لدور علماء الدين في قيادة الأمة عن اتجاه فكري وسياسي لدى هذا العالم العاملي، إذ ان إشاراته كانت واضحة في اعطاء القيادة للعلماء، «فلهم الرياسة العظمى والنيابة الكبرى».

إن هذا الموقف يبين المسار الذي سلكه العلاّمة فضل الله في مرحلة كانت تشهد صراعاً حاداً في الحوزات العلمية بين أنصار المشروطة والمستبدة، وتدور فيها نقاشات حامية حول الأدوار التي تؤديها المرجعية الدينية، وهو كان يرى أن دور علماء الدين يرتبط بالقيام بامر المسلمين، وهو ما أشار إليه في رسالته في الشيخ شرارة «فقوام الدين ونظام أمر المسلمين في أيدي العلماء العاملين».

اشتهر في مجال الفقه بأنه علاّمة وفقيه، شهدت له الحوزة بمستواه الرفيع، كما امتاز بأنه شاعر مبدع وكاتب مميز كما وصفه معاصروه ممن ترجموا لأعلام تلك الحقبة، فهو «ذو

=وكانت أبرز فتاويه تحريم التنباك في إيران بعد احتكاره من قبل شركة إنكليزية، فاستجاب له الشعب بشكل واسع مما اضطر السلطان القاجاري آنذاك إلى التراجع. (راجع حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ٢٤).

علـم وأدب وشـعـر ونـثـر وقـلـم حـسـن، أحـد حـسـنـات هـذا العصر»[1]، وهو فضلاً عن ميزاته الفقهية والأصولية «شاعر شهير وكاتب مبدع، وله نثر بليغ[2]، فبموازاة شهرته العلمية كانت شهرته الأدبية لا تقل شأناً إذ «له في البلاغة نظماً ونثراً مقامات شامخة تبتهج به القارة العاملية»[3]، تبيّن تلك الشهادات أنه جمع في شخصيته بين كونه فقيهاً كبيراً وعالماً مشهوراً، وكونه شاعراً وكاتباً مبدعاً.

بعد سنوات الدراسة الطويلة في النجف الأشرف، قرر الفقيه العاملي العودة إلى بلاده، إذ جاء إلى جبل عامل فبقي في وطنه ومسقط رأسه عيناثا مدة، ثم انتقل إلى قانا سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وتوطنها إلى أن توفي خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م[4].

---

(١) حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ٣١٩.
(٢) علي الخاقاني، **شعراء الغري**، ج ١٠، ص ٤١٩.
(٣) محمد علي الاردوبادي، **سبائك التبر**، ص ٢٣٧
(٤) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ٩، ص ٢٩١.

مؤلفاته وأشعاره:

ترك الفقيه والشاعر مجموعة من المؤلفات منها كتاب في الحكمة عرف بالسمكية وسماه ميزان العدل، واختار شخصيتين علمائيتين بارزتين للحديث عنهما بأسلوب أدبي قصصي، لما لهاتين الشخصيتين من دور وتأثير على المستوى العلمي والثقافي والسياسي، فكتب رسالة أبّن فيها الإمام المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي، ورسالة في ترجمة الشيخ موسى شرارة، فضلاً عن تراث شعري ونثري لا يزال مخطوطاً، ونشرت بعض إشعاره في أعيان الشيعة وشعراء الغري وسواها من كتب التراجم.

أ ـ من أشعاره:

مما قاله في رثاء الإمام الشيرازي، من قصيدة طويلة يشير فيها إلى فتواه بتحريم التنباك:

كم أبرموا في الورى أمراً فانقضه

قول طلائعه الروعات والحذر

قــول لــه ردّت الأســيــاف خــاضــعــة

عـلى الـرمـاح وذل الـضـيـغـم الـهـصـر[1]

قــول تــكــن الــمــنــايــا تــحــت أحــرفــه

والــســمــر تــشــرع والأســيــاف تــبــتــدر

لــلــه فــرد لــه الأجــيــال قــد خــضــعــت

وذابــت الــبــيــض رعــبــاً والــقــنــا الــســمــر

مــحــمــد أنــت والــجــلــى إذا غــشــيــت

ظــلــمــاتهــا وتــعــامــى عــنــدهــا الــبــصــر

طــود أشــم وأرســى هــضــبــة رســخــت

مُــوَقَّــرُ الجــأش لا الــهــيــابــة الــذعــر

مــا ضــيــق الــدهــر صــدراً مــنــك مــتــســعــاً

فــي رحــبــه تــضــرب الأمــثــال والــســيــر

عــهــدي بــعــزمــك أن حــركــت ســاكــنــة

جــاءت إلــيــه صــروف الــدهــر تــعــتــذر

(١) الضيغم الهصر: من أسماء الأسد.

وله في وصف إقامته في النجف الأشرف:

مقامي بأرض الغريين[1] لا عدت
ثراك الغوادي غدوة ورواحا
تراوح روضاً ينفح الطيب كلما
به عبثت أيدي النسيم صباحا
إذا ما ضللنا دلنا طيب نشره
على القصد مُذْ هبَّ النسيم وفاحا
قطعنا إليه البر قفراً وسبسبا[2]
وجبنا الفيافي نفنفا[3] وبطاحا
أصبنا به نجح الأماني وربما
ترى لأمانِّ الرجال نجاحا

وفي عبر الماضي يقول:

تلك القرون المواضي قبلنا درجت
على المنون وفيها يضرب المثل

---

(١) الغريين: النجف الأشرف.
(٢) سبسب: الأرض المستوية البعيدة.
(٣) نفنف: كل مهوى بين جبلين

فاضرب بطرفك في الدنيا وغابرها
تخبرك عن ساكنيها الأعصر الأول
جار الزمان عليهم فاغتدوا رمماً
وكلهم من حياض الموت قد نهلوا
آثارهم درستها السافيات(١) فما
فيها لهم علم باق ولا طلل
تهافتوا في ذرى أعلام عزهم
قسراً ولم تحمهم بيض ولا أسل(٢)

ب ـ ترجمة الشيخ شرارة:

تشكّل هذه الترجمة التي عرفت بالرسالة في الشيخ موسى أمين شرارة، إحدى المؤلفات التي كتبها السيد محمد فضل الله، وتتضمَّن المقدمة ويبيِّن فيها نظرته إلى دور علماء الدين، ويعدِّد فيها ميزات الشيخ شرارة، الطالب والأستاذ، الفقيه

(١) السافيات: سفت الريح شيئاً أي ذرته أو حملته.
(٢) أسل: الرماح.

والعرفاني، ويسرد بعض ما قاله وما قيل فيه وما جرى في وفاته وتأبينه.

صاغ المؤلف هذه الرسالة بأسلوبه القصصي الأدبي الرفيع الذي أجاد فيه نقل الوقائع والأحداث ومزج فيه بين النثر والنظم، ويعدّ هذا الأسلوب أحد ميزات الكتابة عند السيد محمد رضا، وهو ما نجده في مؤلفاته الأخرى كالسمكية ورسالة تأبين الإمام الشيرازي. بقيت رسالته في الشيخ شرارة مخطوطة في مكتبات النجف الأشرف أو في لبنان، ويشير إليها الطهراني في الذريعة بقوله: «وترجمته هذه لتلميذه السيد محمد رضا فضل الله، وتوجد نسخة منها منضمة إلى أمل الآمل في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء، ذكر فيها تراجم مشايخه وتلاميذه وكثيراً من أشعاره»[1].

أما محمد جابر آل صفا فنقل في تاريخ جبل عامل بعض ما ورد فيها، إذ ترجم العلاّمة الشيخ موسى أمين شرارة تلميذه السيد محمد رضا فضل الله العيناثي في رسالة خاصة، وعدّد تلامذته وذكر العديد منهم، وفيهم من

(١) أقا بزرك الطهراني، **الذريعة**، ج ٤، ص ١٦٦.

أطلق عليهم الطبقة الأولى مع تفاوت أعمارهم ومستوياتهم العلميــة والسبــق في الانتساب إلى المدرسة، كالشيخ موسى مغنية[١] والسيد نجيب فضل الله[٢] والشيخ حسين

---

(١) الشيخ موسى بن جعفر مغنية (ت: ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.)، فقيه عاملي، ومدّرس معروف، ولغوي وشاعر، تنقّل في المدارس العاملية بدءً من بلدته عند والده الشيخ جعفر، ثم عند الشيخ مهدي شمس الدين في مجدل سلم، وانضم إلى مدرسة حناويه عند الشيخ محمد علي عز الدين ولما حضر الشيخ موسى شرارة إلى بنت جبيل، انتقل الشيخ مغنية إلى مدرستها، ليكون رفيق درب الشيخ شرارة في حمل لواء النهضة العلمية والأدبية في جبل عامل انطلاقاً من مدرسة بنت جبيل، وبعد وفاة صاحب المدرسة كان الشيخ مغنية المدرس الأول في مدرسة شقراء، ثم في مدرسة عيناثا وأنشأ درساً للطلاب في بنت جبيل، كما وصفه تلميذه حفيد الشيخ شرارة سميّه الشيخ موسى شرارة.

بعد إقفال المدارس صار الشيخ مغنية المدرسة والمعلم في آن معاً، إذ واظب على إعطاء الدروس في بنت جبيل وعيناثا وكان درسه عامراً بالطلاب. تخرّج على يديه عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء الذين كان لهم دور ريادي في النهضة العاملية. له منظومة في الفقه في المواريث، وأشعار. (راجع يوسف فضل الله، **منارة الفقهاء**، الشيخ موسى مغنية، ص ٢٦ ـ٣٠).

(٢) السيد نجيب الدين فضل الله (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.)، ولد في عيناثا، ونقله خاله الشيخ محمد مغنية إلى طيردبا مع الشيخ حسين مغنية، ليكونا تحت رعاية المعلم والمربي المشهور آنذاك الشيخ جعفر مغنية، وبعد وفاة الشيخ جعفر، انتقل إلى حناويه للدراسة عند الشيخ محمد علي عز الدين، ومنها إلى بنت جبيل مع الشيخ موسى شرارة، درَس ودرّس، قبل أن يهاجر إلى النجف الأشرف بعد إقفال مدرسة الشيخ موسى. عاد إلى جبل عامل فأقام مدة في بنت جبيل ثم في مارون الراس، ومنها عاد إلى عيناثا حيث أنشأ مدرسة، خرجت عدداً وافراً من=

مغنية[١] والسيد محسن الأمين[٢]، وغيرهم ووصفهم بأنهم من «خيرة علماء جبل عامل فضلاً وعلماً»[٣].

النسخة التي بين أيدينا هي تلك التي كانت محفوظة في مكتبة الشيخ كاشف الغطاء[٤]، وهناك أجزاء من هذه

=الطلاب، بقيت إلى حين وفاته. (راجع محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج١٠ ص٢٠٨).

(١) الشيخ حسين مغنية (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م. ـ ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.)، تربى بداية عند الشيخ جعفر مغنية، وبعد وفاة مربيه انتقل إلى حناوية عند الشيخ محمد علي عز الدين، ومنها إلى مدرسة الشيخ موسى شرارة، وبعد إقفال المدرسة، هاجر إلى العراق، ومكث في النجف الأشرف حوالي عشر سنوات درس خلالها على كبار علمائها، وعاد عالماً كبيراً، وفقيهاً مشهوراً، أقام في طيردبا، وتخرج عليه عدد من العلماء، وقضى بين الخصوم، وانتفع العامة والخاصة بعلمه وإرشاده وجاهه. (السيد محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٦ ص ١٠٣).

(٢) السيد محسن الأمين (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م. ـ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.)، عالم وفقيه، له مصنفات كثيرة في موضوعات عديدة، فهو كتب سيرة حياته في مؤلفه الضخم أعيان الشيعة، فأشار إلى أنه درس بداية في شقراء، ثم في عيثا عند السيد جواد مرتضى. انضم إلى مدرسة بنت جبيل في عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م. حيث تلقى علومه على السيد نجيب فضل الله، وظل فيها إلى حين وفاة مؤسسها، انتقل إلى النجف الأشرف، ودرس على أبرز أساتذتها ومراجعها، وتخرّج عليه طلاب، عرف بمنهجه الإصلاحي في ميادين متعددة وبخاصة في الميدان التربوي، (السيد محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج١٠ ص٣٥٠ ـ ٣٥٥).

(٣) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ٢١٩.

(٤) مصدر المخطوط: قسم المصوّرات في مركز الفقيه العاملي لإحياء التراث.

المخطوطة منقولة لدى بعض علماء وأدباء آل شرارة لكنها غير مكتملة، من بينها نسخة لدى حفيد الشيخ شرارة سميّه الشيخ موسى شرارة[1] الذي يشير إلى هذه الترجمة بقوله: «ما ذكره المرحوم المقدس العلاّمة السيد محمد رضا فضل الله من ترجمة المرحوم المقدس الشيخ موسى، وهي على طولها تشتمل على فوائد تاريخية وتظهر عاطفة الإكبار والتقدير، وتصوير وضع المجتمع أوائل القرن الرابع عشر، واللون الأدبي الذي تمثله هذه الترجمة، فقد كان السيد محمد رضا يومئذ من العلماء الذين يمتازون بالأدب النثري الذي يشبه أو يقرب من أدب الحريري»[2].

---

(١) الشيخ موسى عبد الكريم شرارة، (١٣٢٦هـ./١٩٠٧م. ـ ١٤١٩هـ./ ١٩٩٨م.)، درس أوليات العلوم في بنت جبيل، ثم انضم إلى حلقة درس الشيخ موسى مغنية في المدينة، وفي عام ١٣٤٥هـ./١٩٢٦م. توجه إلى النجف الأشرف فتتلمذ على جملة من أساتذتها، وبقي فيها لمدة ١٣ سنة، وقد حاز على شهادات باجتهاده من العديد من أقطاب الحوزة، انتقل إلى الهرمل في العام ١٩٣٩م. وتولى فيها منصب الإفتاء الشرعي. عمل في الهرمل على إنشاء الصروح العلمية، ونشط في مجال التبليغ والوعظ وكان له الدور الكبير في النهوض بأوضاع تلك المنطقة. (نقلاً عن حياة الشيخ موسى شرارة بقلمه، محفوظة في مكتبته).

(٢) القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات (٤٦٦هـ./١٠٤٥م. ـ ٥١٦هـ./ ١١٢٢م.)، أديب ولغوي ونحوي وناظم. ولد بقرية المشان من عمل البصرة،=

هذه الترجمة هي المصدر الأساس عن حياة الشيخ شرارة ومرحلته، لأنها كتبت بقلم أحد تلامذته الذين عاصروه ودرسوا في مدرسته، ومن خلال معاينة مباشرة للوقائع، وأغلب من كتب بعد ذلك عن الشيخ شرارة أخذ عنها، هي نص واحد، لم يضع له عنواناً رئيسياً، وأشار فيه إلى المصدر الذي استقى منه بعض المعلومات التفصيلية. ما نقدمه هو نص المخطوطة كما ورد بخط المؤلف مع وضع علامات الوقف، والعناوين المناسبة غير الموجودة، وهي من المقدمة إلى ذكر وفاته، فضلاً عن الهوامش والتي تشمل ترجمة الأعلام، وشرح وتفصيل بعض الحوادث والمحطات التي وردت الإشارة إليها في النص، وتبيان معاني بعض الكلمات. أمّا العنوان الرئيسي فقد اخترناه من النص، وحافظنا فيه على ما عرفت به هذه الترجمة بأنها تحمل اسم المترجم له أي الشيخ موسى أمين شرارة.

=رزق الحظوة التامة في عمل المقامات، واشتملت على كثير من كلام العرب ومن لغاتها وأمثالها، له مؤلفات منها درة الغواص في أوهام الخواص، ومنظومة ملحمة الأعراب في النحو وشرحها. (راجع: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٤ ص ٦٨).

العلّامة
الشيخ موسى أمين شرارة

بقلم

العلّامة السيد محمد رضا فضل الله

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الحمد لله الذي جعل الموت موعظة للغافلين، وتذكرة للذاهلين، وسبيلاً لاصطفاء الأخيار، ومحنة وابتلاءً لأوليائه للاختبار تمييزاً بين عباده، إبلاغاً لما أعدّ لهم من ثوابه وعقابه. الدائم الذي لا يحول، والسرمديّ الذي لا يزول، من فنيت الحقيقة في جنب حقيقته، وعميت أناسيّ الأبصار عن إدراك مجرى إرادته ومشيئته، فأبدع الأشياء وأتقن تكوينها، وصوّرها بحكمته فأحسن تصويرها، وجعل لكلّ منها أجلاً محدوداً وأمداً ممدوداً، لا تستطيع بلوغ غايتها ولا إدراك نهايتها، فهي جارية على إرادته، متصرفة على مشيئته. حمداً لا تفنى حقيقته بفناء حقائق الدهور، ولا ينقطع أمده بانقطاع الأزمان والآباد،

وأصلي على نبيه المنتخب من دوحة الكمال، والمُستمد من سنا نور القدرة والجلال، وآله السالكين سبيل القرب، والراتعين في حديقة المكاشفة، والكارعين من حياض أسرار الملكوت بكأس الملاطفة، وصحبه السالكين سبيله والتابعين دليله.

أما بعد فإنّ الله قد أحاط بالأشياء علماً قبل تكوينها، ومعرفة قبل إبداعها وتصويرها، فأنشأها على مقتضى حكمته وإتقان صنعته. فخلق هذا الخلق، واختبرهم بسلوك مناهج الحق من بعد أن أدلى لهم بالحجّة، وأبان لهم عن واضح المحجّة، فاختار لهم الإسلام ديناً، واصطفى لهم من عباده أولياء دالين عليه ومرشدين إليه. إلى أن انتهت النواميس الإلهية، والشرائع الربانيّة إلى نبيّنا نبيّ الرحمة(ص)، وقائد الأمّة على فترة من الرسل، ودروس من الدين وانقطاع من الوحي، فأعذر وأنذر ونهى وحذّر، وأقام الحجج البالغة والمعجزات الباهرة، لئلا يكون للناس على الله حجّة. ثم بعد انقضاء النبوّة ومن كان بعده في صدر الإسلام، كان قوام الدين ونظام أمر المسلمين في أيدي العلماء العاملين، والأخيار الزاهدين مناهج الحق ودلائل الصدق، تنقشع بساطع أنوارهم

غياهب الجهالة، وتنجلي بمصابيح حكمهم ظلم الضلالة والغواية، حفّاظاً لنواميس شريعته، وهداة لظلّال خليقته. منارة في أرضه وحججه على خلقه، قد أفنوا في مرضاته نفوسهم وأذابوا جسومهم، فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وأقاموا الحدود وبيّنوا الأحكام، فغدى بهم الإسلام رفيع الدعائم ثابت القوائم، مجتمعاً شمله منتظماً شتاته، ولولاهم لأدّى حبل الأمة إلى الاضطراب ودينها إلى الذهاب. فمن ثمّ كانت رزيتهم أعظم الرزايا، وبليتهم أفظع البلايا، فإذا دهم أحدهم ريب المنون وعاجلُ القضاء الذي لا مردَّ له، ثَلِمَ في الإسلام ثَلْمٌ لا يسده قيام عالم غيره إلى يوم القيامة، لأنّه بفقد العلماء فقْدُ الدين واضطراب حبل المسلمين، وإنّ أحقّ الذاهبين في استعظام مصابه وفقده وإيابه، وأن يكون حزنها عليه سرمداً والثكلُ بمأتمه مؤبَّداً، من أفنى نفسه بالمراقبة، وأنصب بدنه في المحاسبة، وأسهر عينه في طاعة ربّه، وأطال فكره في عز دينه وإقامة كتابه واتّباع سُنّته، سيّما مصباح الهدى وعلم التقى حبل الله المتين وحكمه المبين، العَلَم العلاّمة والحبر الفهامة، ركن الدين وعماد المؤمنين، المرحوم المبرور المقدس الشيخ شيخ موسى شرارة العاملي تغمده الله برحمته وأسكنه أعلى

غرفات جنته، وأفاض عليه من شؤبوب[1] الرضوان عذباً سلسبيلاً، وسلك به مناهج العفو والرحمة جادّة وسبيلاً. فلقد كان بعيد الغاية طويل النهاية، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، تتفجّر ينابيع الحكمة عن لسانه، وتزهر مصابيحها لأهل زمانه. معرضاً عن الدنيا وزهرتها، منحرفاً عن ملاذها وبهجتها، يُصْدقُ الفعل منه القول. كلّ ما سوى الله عنده عدم، وما في الكون خيال أو وهم، غفلاته ذكر وذكره شكر. يرى أنه إن جاء يوماً بغفلة هي الكفر أو وقد كان من دونها الكفر، تجرّدت نفسه عن كثافة هذا الجسم ولحقت بعالم الملكوت، فكادت أن ترفع له حُجُبُ العزّة والجبروت.

بحر عرفان لا ينزف وحديقة علوم لا توصف، وماذا عسى أني فيه أقول: إلا أنه مزج العلم بالحلم والعفو بالقدرة، والجلالة بالهيبة والوقار بالسكينة والغنى بالعفّة، فكان قيد النواظر ومهوى البصائر. مجالسه بالسيادة معمورة وبالوقار من دون التِّيه[2] مغمورة، لا تطيش أحلامه ولا تتشعّب أوهامه، لا يخرجه الغضب عن حدّه ولا الهزل عن جدّه. حلّ من الشرف

(١) شؤبوب: الدفعة من المطر.
(٢) التِّيه: الصّلف والكِبر.

وسطاً، وأقدم في الأمر فرطاً، صارم عند الشدائد والأناة، وعفوٌّ عند تزايد الجرم وتكاثر الهنَّات، أصاب من المجد لبابه ومن عنصر الكرم أطيبه، حديثه كلّ عن مغزاه كل مديد بعيد مناط الهمة، ومنحاه غير بعيد، ثهلان طما[١]، والقدر عزما، أنف الكرم ومخ الأمم. نجم عند تحيّر الدليل، وبدر لمن فقد النهج والسبيل، كلامه إجادة للفكرة وفيض القريحة وعفو الطبع وإصابة حز المفصل، كالسحر الحلال والماء الزلال وبرد الشراب وبُرَد الثياب.

له من كل شيء عقوته[٢] وعنفوان مكرمه، لقد قرب حتى أطمع وبعد حتى امتنع، ذكره شفاء المريض وجبر المهيض، وزاد الراحل وبلغة الآمل، وعندما أراد الله تعالى اصطفاءه إليه من دار الغفلة ومواطن الغربة إلى دار لا يزول نعيمها ولا يظعن مقيمها، دعاه فأجاب مطيعاً ولبّى سريعاً، فترك عامل وأهلها نوادب وعيونها سواكب وأحشاؤها تضطرب وأكبادها تلتهب. إذ زال طودها الشامخ، وعلمها الباذخ، وهُداها إذا أشكلت السُبل وضلّ الدليل، ومأواها من لفحات هجير الدهر وقد عز

---

(١) ثهلان طما: ثهلان اسم لجبل ويضرب به المثل للرجل الوقور، وطما بمعنى ارتفع

(٢) عقوته: ساحته.

المقيل، وضحاها إذا اغبرت الفجاج والبلاد، واقشعّرت الربى والوهاد، وقد اسودَّ وجه العام وتواترت نوائب الأيام، والغيث قد أقلع والسحاب تقشَّع، فكم له هناك من وابل جود طويل المدى، وسحائب أيد مهلَّة نبوء الجدى، ومآثر لا تحصى، ومحامد لا تستقصى. فبفقده فقد الدهر غرّته، وطوحت من بعده رياض المعارف والكرم، وانثلم حد الأدب والقلم وغدت ظلال الهداية دارسة، وأغصان الجهالة بالفيء مائسة(١)، وربوع المدارس مطموسة الأثر ورياض مبانيها كهشيم محتضر، ولواء العلوم تحطمت معاده، وتبدَّدت أجناده، ولفّ بعد ما كان منشوراً، وانيح(٢) بعدما كان للهداية مشهوراً، ولِبَيْنِهِ بان حسام الشريعة وثَلُم، ومال صدر قناتها وحطُمْ، ولموته تطاولت صروف الدهر، وتنفسّت نكبات العصر، ومدّت أشطان(٣) المنايا إلى ركابها النفوس، وثبت في مناهجها حبائل الغدر، وأخذت تقضي فيهم النذر بعد النذر. فأبقت الدنيا نوائح عليه تتجاوب، وأحشاء الأنام بالارزاء تتجاذب، مستفرغة العبرات

---

(١) مائسة: متبخترة.

(٢) انيح: تحرك بثقل شديد.

(٣) أشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل.

مشبوبة الأحشاء بالزفرات. إذ هوى نجم هداها وخبا زند علاها، وبذْر لياليها قد سامه الخسف وعاجله الحتف، وانتظم شمل الهدى في سلك المنيّة والردى، وتقوّضت عمد المكارم والمفاخر، ونكسّت لفقده رؤوس المنابر. فهيّج قرائح الأكباد وأجّج زفرات الوجد بالفؤاد، فأخذ كل أديب إلى غايته طريقاً وغدى لسانه ينفث بما يحرّك القلب من الوجد والحريق، فلم يبق ذو شعرٍ وأدب ولا متطفل إلى هذه الصناعة إلا أنشد وأعرب.

به سلك الناس السبيل إلى الهدى

فغاب فعجّت بالمراثي كرامها[1]

وها أنا مورد من آثاره ما يكون لك شاهد، وعلى ما قلته مساعد من مآثر تبهر العقول ويحسر عن إدراكها الطرف، وفضائل تعجز عن وصفها الأقلام، وتضيق بطون الدفاتر، وغرر من أشعاره وجملة من زواهر آثاره، وما قيل فيه من المديح أيام حياته، والرثاء بعد وفاته لتلامذته وغيرهم من أهل الأدب والفضل، بعد تاريخ مولده ولمع من أخباره وسيره. إلا

(١) من قصيدة للشيخ موسى شرارة في رثاء الشيخ عبد الله نعمة.

أنني وقفت على جُمَل شافية ونُبذ في حقه وافية، قد تضمنت جملة من جميل أخباره، واستوفت شذراً من بعض فضائله وآثاره، استغنيت بها عمّن سواها لجناب السيد الفاضل والعالم العامل السيد نجيب الدين ابن المرحوم المقدس السيد سيد محي الدين فضل الله الحسني العاملي تغمده الله برحمته، وهو ممن قد تخرّج على يده في جملة من العلوم وفنون الأدب، مؤرخا بلفظٍ أرقّ من نسمات الأسحار وأعذب من نفحات الأطيار. تزدري بقلائد العقيان[1] ونثار اللؤلؤ والمرجان، ولا عجب فإنه ممن ضرب في الصناعة وغيرها على عرق وجرى فيها على حق، فكان له السبق في كل مضمار وجواز الغاية في حلبات المجد والفخار، وناهيك به من أديب مصقع[2]، وبليغ مبدع. كلامه في جمل هذا التاريخ عدا عن شعره السائر في الأمصار مسير الشمس في رابعة النهار من رصانة لفظه ومتانة معناه يحكي نثر ابن العميد[3] وخطب ابن

(١) العقيان: هنا بمعنى الذهب الخالص.
(٢) مصقع: البليغ أو عالي الصوت.
(٣) ابن العميد: ابو الفضل، محمد ابن العميد (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م.)، كان وزير=

الحميد[1]، ولا غرو فإنه ممن ضربت به أعراق النبوّة وجراثيم الإمامة، والشيء لا يعرف إلا بفصله وكل عرق نزّاع إلى أصله وها أنا مورده بتمامه والله المستعان.

=ركن الدولة بن بويه، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأمّا الأدب والترسل فلم يقاربه فيه احد في زمانه، وكان كامل الرياسة، قال الثعالبي في كتاب اليتيمة، كان يقال بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد، (ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥ ص ١٣).

(١) ابن الحميد: عبد الحميد بن يحي بن سعد، (قتل: ١٣٢هـ/ ٧٤٩م.) الكاتب البليغ المشهور، وبه يضرب المثل في البلاغة، له رسائل تقع في نحو الف ورقة. هو من اهل الشام، وكان اولاً معلم صبية، يتنقل بين البلدان، وكان كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني اميه، قتل مع مقتل مروان على يد العباسيين، (ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٣ ص ٢٢٨).

العَلَم العلّامة

نشأته ودراسته في جبل عامل

لقد ذكر حفظه الله في تاريخ مولده وغيره انه ولد في سنة سبع وستين بعد الالف والمايتين، فعندما نشأ وترعرع وبلغ من السنين الخمس، قرأ القرآن فحفظه في مدة خمسة أشهر، ثم انتقل إلى مدارس العلم فقرأ النحو والصرف[١]، فجاء فيها

(١) كانت دراسته في جبل عامل على يد أبرز معلمي تلك الحقبة الشيخ جعفر مغنية، ولازمه ملازمة تامة، وكان هذا المعلم ماهراً في العلوم العربية مشهوراً بحسن التدريس، والشيخ جعفر، (ت: بعد ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م.)، وهو والد الشيخ موسى مغنية. تلقى علومه الاولى في مدرسة عمه الشيخ مهدي في طيردبا، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ عبد الله نعمة في جبع، ومنها إلى حناوية حيث أقام لأشهر قبل أن يبدأ رحلة التعليم فأسس في جويا مدرسة بطلب من أحد علمائها، اجتمع حوله الطلاب، وبعدها تنقل في قرى عدة معلماً بارزاً. من بين هذه القرى تبنين التي أنشأ فيها الشيخ درساً عامراً بالطلاب ومن بينهم الشيخ شرارة. اشتهر بكونه من أهم مدرسي اللغة العربية وتخرج على يديه عدد كبير من الطلاب. وصفه الشيخ محمد مغنية في جواهر الحكم بانه من العلماء الفضلاء الأتقياء، وكان من الأفاضل في علم المقدمات، أما في تربية المبتدئين فليس له نظير. =

سابقاً، فأعجبت به العشائر والحكام، حتى أن المرحوم علي بك الأسعد[1] كان يباهي به كل من وفد على حضرته من العلماء، فيجادلهم في النحو والصرف، وفي كل ذلك يكون له عليهم الفلج بإقامة الأدلّة والحجج على صغر سنّه[2]، وكان يباحث في النحو والمنطق والصرف والمعاني والبيان تقريباً من اثني عشر بحثاً، ولقد باحث ألفية ابن مالك لفضلاء المشتغلين

= كما تلقى الشيخ شرارة العلم على الشيخ مهدي آل شمس الدين، (١٢٤٥هـ./١٨٣٠م. ـ ١٣٣٤هـ./ ١٩١٥م.)، وهو من ذرية الشهيد الأول، ومن أجلَّة تلامذة الشيخ عبد الله نعمة، وتخرج عليه في الفقه والأصول، وقرأ عليه الشيخ شرارة القوانين، وكان كما وصفه السيد الصدر من المعاصرين الذين تكملوا ولم يجيئوا إلى العراق (محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ١٠، ص ٢٣ و١٧٤. حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ٤٠٩).

(١) علي الأسعد (١٢٣٧هـ./ ١٨٢١م. ـ ١٢٨٢هـ./ ١٨٦٥م.)، حكم في تبنين لمدة ثلاثة عشر سنة، بعدما خلف والده، ، وكان لقبه الرسمي في المراسلات الحكومية رئيس العشائر، سكن قلعة تبنين وشاد بها القصور، وهو آخر من حكم بها من هذه الاسرة، وبعده قسمت البلاد إلى مديريات وقائمقاميات، وكانت قد قدمت فيه شكايات فطلب إلى بيروت ثم إلى دمشق، وعفي عنه، ثم مات في دمشق بالوباء. (محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ٥٥).

(٢) من جملة المناظرات التي يسردها بعض العارفين، مناظرته بعض الموظفين الأتراك، وكان له الغلبة على خصمة، ولما رأى خصمه أن من في عمره الصغير له الغلبة عليه ببراهين وحجج اشتاط غضباً، وذهب فلحقه علي بك الأسعد واسترضاه بإهدائه حصاناً ذا ثمن، وكان الأسعد يتباهى بعد ذلك بذكاء الشيخ، ويقول له يا شيخنا كلفتنا مناظرتك حصاناً.

تقريباً من اثنتي عشرة مرة، وباحث شرح نجم الأئمة على كافية ابن الحاجب مراراً عديدة، ولقد كان سريع الانتقال إلى المطالب الدقيقة، حتى كان يراجع الأوراق الكثيرة في المدة القليلة في الكتاب المشكل من المطالب الغامضة التي تكلّ دونها أفكار الحذاق، فيهدأ مطالبها هذا على نَفَسٍ لا يقطعه، وريق لا يبلعه، ولقد كان يلتقط المطالب بأسرع من إشارة الكف وأوحى من رجع الطرف، التقاط الحبة البطينة من بين هزيل الحب، ويجتهد في تحقيق المطالب وتدقيقها وتهذيبها وتنقيحها حتى يخرج المدرة من بين حب الحصيد، وكانت مدة اشتغاله في هذه البلاد إثني عشر عاماً، ولما ظفر منها بالتجارة الرابحة واكتال منها بالمكيال الأوفى واستضاء منها بزناد العلوم الثاقبة توجه تلقاء النجف الأشرف.

في النجف الأشرف:

توجه تلقاء النجف الأشرف وقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، ولما حطّ فيها رحله ارتاد الفضلاء على عينه، فاختار أثقبهم علماً وأوراهم زندا، فجعل يختلف إليه ويكتسب منه، وهو العالم الرباني والفذ الصمداني الشيخ شيخ ملا علي

الهمذاني[1] مدّ الله في ايامه وزاد في أعوامه. فقرأ عليه قوانين المحقق القمي في الأصول مرتين. ونبذ من رسائل خاتمة المحققين وحجة الإسلام والمسلمين المرحوم المقدس الشيخ شيخ مرتضى الأنصاري التستري(قده)[2]، بكل تحقيق وتدقيق وتنقيب وتفتيش. ثم صار يختلف إلى نابغة زمانه علامة أوانه الشيخ شيخ ملا محمد كاظم الخراساني[3]، فتمّم عليه رسائل

(١) وردت ترجمة هذا العالم المدرس في تكملة أمل الامل للسيد حسن الصدر بانه من اجلاء تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري وكان المدرس الاول في النجف الأشرف وان الشيخ موسى شرارة قرأ عليه بعض القوانين. (حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ٤٠٣).

(٢) هو الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤هـ./ ١٨٠٠م. ـ ١٢٨١ هـ./ ١٨٦٤م.)، ولد في ديزفول، وتنقل بين العتبات المقدسة في العراق وايران وكان كثير الاسفار يلتقي بالعلماء والمجتهدين إلى ان استقر في النجف الأشرف سنة ١٢٤٩هـ./ ١٩١١م. تلقى علومه على عدد من العلماء والمراجع ابرزهم الشيخ احمد النراقي والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ علي كاشف الغطاء، تسلم زمام المرجعية بعد وفاة صاحب الجواهر، عام ١٢٦٦هـ./ ١٨٤٩م. وصار علامة عصره وفقيه زمانه وأستاذ الفقهاء، تخرج على يديه كبار علماء الحوزة الدينية وفي طليعتهم الميرزا محمد حسن الشيرازي والملا الخراساني صاحب الكفاية وسواهم من مراجع التقليد. له مؤلفات عديدة في الاصول والفقه. (عن مقدمة كتاب التقية للشيخ الأنصاري).

(٣) الملا محمد كاظم بن الملا حسين (١٢٥٥هـ./ ١٨٣٩م. ـ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.) هاجر إلى النجف الأشرف في حدود سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. وتتلمذ على أبرز علمائها وفي مقدمهم الشيخ مرتضى الأنصاري والميرزا محمد حسن الشيرازي،=

الشيخ المتقدم ذكره، وكان أستاذه معجباً به حريصاً على فوائده شديد الاعتناء به والالتفات إليه.

وقد تخرج في الفقه على جملة مشائخ أُخر. قرأ عليهم كتباً عديدة فأجازوه في رواية الحديث، وأخذ عنهم من الحديث والدراية والتفسير والأحكام الفقهية ما لم يأخذه غيره، فمنهم حجة الإسلام وعلم الأعلام بحر العلم الطامي وسجال الفضل الهامي الشيخ شيخ محمد حسين الكاظمي[1]، امدّ الله بوجوده الشريعة وشيّد هضبتها الرفيعة إلى مشائخ أخر.

=لمع في شتى انواع العلوم وانعقد له لواء المرجعية واصبح زعيم الحوزة العلمية، وكانت حلقة درسه تعد اعظم الحلقات العلمية، وانخرط فيها اكابر العلماء والمجتهدين. عرف بمواقفه الصلبة في مواجهة الاستعمار وفتاويه للدفاع عن بلاد المسلمين في مواجهة الغزوات الاجنبية ابرزها فتواه ضد الغزو الايطالي لليبيا عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. وموقفه ضد محاولة روسيا احتلال خراسان في ايران، وهو الذي قاد ما يعرف بحركة المشروطة في ايران، ليكون الحكم دستوريا شورويا.له مؤلفات كثيرة من بينها الكفاية في الاصول وعليها العمدة في التدريس في الحوزات الدينية. (راجع، محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٩، ص٦).

(١) الشيخ محمد حسين الكاظمي، (ت: ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.)، شيخ فقيه مشهود له بين العلماء وعامة الناس، درس على صاحب الجواهر وعلى الشيخ الأنصاري، وحاز موقعاً مرموقاً في الحوزة الدينية وكان مرجعاً للناس، درس على يديه عدد كبير من الطلبة والعلماء وله مصنفات في موضوعات شتى خاصة في الفقه. (علي البروجردي، **طرائف المقال**، ج١ ص ٤٣. الطهراني، **الذريعة**، ج٣، ص١٩).

ولقد أخذ الحكمة المتعالية والعلوم الرياضية والفلسفة والتصوّف عن جملة لم يسمح بمثلهم الزمان من أرباب هذا الفن منهم: المجرد عن الملابس الطبيعية، والمنغمس في بحار أنوار العلوم الربانية عماد الأمة، والمجلي بحكمته ظلم الجهالة المدلهم الشيخ المبرور المقدس الشيخ محمد تقي الإيراني[1]، فإن لهذا الشيخ في الحكمة شأناً خطيراً، ولقد سمعنا من الشيخ المبرور: إن هذا الشيخ العارف بقي في إحدى غرف الصحن الشريف مدة أربعين سنة لا يخرج منه إلى غيره، ولا يرى مشتغلاً بأمرٍ دنيوي ولا يدري من أين يجري عليه رزقه، سائحاً بأفكاره في رياض القرب، متوجهاً بنفسه إلى حظيرة القدس، مجتهداً في تهذيب نفسه من درن الطبيعة وكثافة هذا العالم، ومنهم الشيخ العارف بحر المعارف الذي لا يمتطى ثبجه[2] ولا تخاض لججه الشيخ شيخ ملا حسين قلّي[3]،

(١) المولى محمد بن محمد باقر المعروف بالفاضل الايرواني النجفي (ت: ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م.)، كان من مشاهير الفقهاء درس عند صاحب الجواهر، والتزم بعد ذلك بأستاذه الشيخ الأنصاري. استقل بالتدريس بعد رحيل أستاذه، اتته شهرة طائلة وزعامة دينية كبرى له رسائل كثيرة في الفقه والأصول. (القمي، **الكنى والألقاب**، ج٣ ص٨).

(٢) ثبجه: اي وسطه، وثبج البحر علو وسطه اذا تلاقت أمواجه وسطه.

(٣) العالم الرباني الملا حسين قلي (ت:١٣١١هـ/١٨٩٣م.)، كان فقيهاً أصولياً=

ولقد أخذ من الشيخ المذكور حكمة ساطعة أنوارها، نامية بمياه المعارف أشجارها زاكية لدى المجتبين اثمارها مرفوعة لدى السالكين أستارها، وكانوا على جلالة قدرهم وعظم شأنهم حريصين على اختلافه إليهم، لما يرون من فضله الراجح وزناد فكره القادح.

لقد تخرّج على يده في العراق جملة من العلماء الأفاضل منهم: السيد سيد يوسف شرف الدين(١) والسيد سيد حيدر وأخوه السيد سيد جواد(٢) الحسينيون إلى غير ذلك من أفاضل

=متكلماً أخلاقياً إلهياً من الحكماء والعرفاء السالكين مراقباً محاسباً لنفسه، بعيداً عن الدنيا واسبابها والرياسات. لم يتعرض للفتوى، ولم يتصد للزعامة. اقرأ في الفقه والاصول ما سمعه من أستاذه الشيخ مرتضى الأنصاري، وما استخرجه بنفسه.عرف بعلم الأخلاق وكان يدرس في كل يوم صباحاً ويدرس بعده في الفقه والأصول. (محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٦، ص ١٣٦).

(١) السيد يوسف شرف الدين الموسوي العاملي (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م. ـ ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.)، والد السيد عبد الحسين شرف الدين. قرأ في جبل عامل ثم سافر إلى العراق وبقي فيها. حضر إلى جبل عامل وتوطنها مدة واجتمع عليه طلاب العلم، ولما رجع الشيخ موسى شرارة إلى بنت جبيل رحل السيد شرف الدين إليها وبقي بها إلى ان توفي الشيخ موسى، فعاد إلى شحور وتوفي فيها. (محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ١٠ ص ٣٢١).

(٢) السيد جواد (١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م. ـ ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.)، ابن السيد حسين مرتضى. قرأ في جبل عامل ثم هاجر مع أخيه السيد حيدر إلى النجف الأشرف حوالي سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. درسا عند الشيخ موسى شرارة، وهو عمدة من=

العراق والشام. لو شرحنا حالهم لامتلأ الوطاب[1] وضاق الخطاب.

وكانت مجالسه كثيرة الازدحام، ولا غرو فالمنهل العذب كثير الزحام، تتنافس أهل الفضل في الأخذ عنه والاستمداد منه على اختلاف طبقاتهم، وكان يزيح عماية اللجاج بواضح الحجاج، كما قال فيه شاعر العراق على الإطلاق السيد السعيد السيد محمد سعيد الحبوبي[2] من موشحة وسيأتي ذكرها في المدائح،

=رباهما حتى صارا يحضران بحث الشيخ محمد حسين الكاظمي والاخوند الخراساني. ثم عاد إلى جبل عامل سنة ١٢٩٧هـ./ ١٨٦٢م. أقام في عيثا يدرس ثم عاد إلى العراق ثانية قبل أن يستقر لعشرين سنة في بعلبك ثم عاد إلى جبل عامل. توفي ودفن إلى جانب أخيه السيد حيدر المتوفى سنة ١٣٣٦هـ./ ١٩١٧م. (حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ١٥٥. السيد محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٤ ص٢٦٦).

(١) الوطاب: بمعنى ظروف وهي جمع وطب وهو سقاء اللبن.

(٢) هو الشاعر والعالم السيد محمد سعيد الحبوبي (١٢٦٦هـ./ ١٨٤٩م. ـ ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.)، بدأ حياته العلمية في مجال الشعر والأدب قبل أن يقرر التفرغ للحوزة الدينية، فتتلمذ على يد كبار العلماء كالشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد الشربياني والشيخ رضا الهمداني، لكن انقطاعه كان للشخ محمد طه نجف ودرس الرياضيات والاخلاق والتصوف على الملا حسين قلي. قاد الثوار ضد الإنكليز=

وإذا مــــا غـــالــــطـــوه بـــــرهــــنــــا

أي وعــــينيـــــه بــــأقــــوى حـــــجـــج

وما سوبق إلا سبق وما قصد إلا لحق كما قال فيه السيد المتقدم ذكره:

قــل لــمــن جــاراه يــبــغــي الــقــصــبــا

حـــازهـــا مـــوســـى فـــلا تـــســـتـــبـــق

وإذا الــــبـــــرذون جـــارى ســـلـــهـــبـــا

ردّ مجــــــراه حـــــضـــــيـــــض أزلـــــقُ

وإذا مـــا الـــبـــزل وافـــت خـــبـــبـــا

قـــصـــرت عـــن شـــأوهـــن الحـــقـــق[1]

وكما قلت فيه:

لا زلــت يــا مــوســى وطــرفــك ســابــق

والخـيـل خـلـفـك مـقـنـب فـي مـقـنـب[2]

=في العراق والهب مشاعر العراقيين بمواقفه ونشاطه الجهادي. (الشاكري، حسين، **علي في الكتاب والسنة**، ج٥، ص٤٧).

(١) البرذون: خيل غير عربي، سلهب: الطويل من الخيل، البزل: الجمل: خببا: الناقة المسرعة، الحقق: الإبل التي استحقت الركوب.

(٢) مقنب: جماعة الخيل والفرسان.

متسربلاً[1] فضفاضة مسرودة[2]

بتقى المهيمن لا الحديد الأشهب

العودة إلى الوطن:

ولما اشتد في الفضل إكتهاله، وأوفى على كمال الكاملين كماله، وساد له من الفضل ما لم يسر قمر حيث سار، فضائل في الأرض منشورة، وثبن الجبال وخضن البحار. واذعن لفضله الخاص والعام من أفاضل العراق والشام، التمسه أعيان العلماء من أساتذته وأقرانه بالقفول إلى بلاده ليشرع أمثلة العدل ويقيم لواء الحق ويعمر المساجد والمدارس، ويجدّد من الدين ما هو دارس عملاً بالآية الشريفة.. ﴿فلولا نَفَر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[3] فلم ير بداً من إجابتهم، فعندها زجّ رواحل السير قافلاً وطلب من الله الخيرة فخار له، وله في سفره آثار حسان ومناظرات ومكالمات مع جملة من أهل التصوّف، صحبوه في طريقه وأنسوا به وسكنوا إليه، واعترفوا

(١) متسربلاً: ما يلبس.
(٢) مسرودة: السرد النسج.
(٣) سورة التوبة، آية ١٢٢.

بفضله وحكموا بغزارة مادّته وطول باعه في سائر الفنون، لا يسع المقام ذكرها.

ولما وصل إلى الشام تلقته أعيان البلاد ويعاسيب القبائل ولهاميم العشائر وذوو الحظ من بيوتات الشرف في موكب عظيم، حافّين به حفيف الكواكب بالبدر، ولما اطمأنت به الدار طار ذكره في الآفاق، وبزغ في عامل بزوغ البدر، وسار مسير الشمس، هرعت إليه روّاد العلم وطلاّب الفضل ينثالون عليه كعرف الضبع كما قيل:

سالت عليه شعاب الحي حـ

ـين أتى أصحابه في وجوه كالدنانير(١)

فلما انتظمت بهم حلقة الدرس، استخبروه فرأوا خريتاً(٢) ماهراً، واستمطروه فرأوا سحاباً هامراً(٣)، فكم خضخضوا

(١) هذا البيت لشاعر جاهلي هو محرز الضبي.

(٢) خريت: حاذق.

(٣) يشير المؤلف إلى الاختبار الذي تعرض له الشيخ شرارة بعد عودته من العراق، وذلك خلال لقائه طليعة علمائية كانت متواجدة في مدرسة حناويه. فقد كان الشيخ موسى مغنية ممن اشتهر في جبل عامل بأنه يمتحن العلماء العائدين من النجف الأشرف لتحديد مستواهم العلمي ومدى تحصيلهم في العراق، وهو عند عودة الشيخ شرارة من النجف الأشرف كان في مدرسة حناوية عند الشيخ محمد علي=

الدلوَ في قليبه فملأوا الدلو إلى عقد الكرب[١]، وما راءٍ كمن سمعا. فألقت إليه أمور الرياسة مقاليدها وأذعن بفضله الجمهور، وكم له مع العلماء مواقف تزلق فيها الأقدام وتقصر دونها طوامح الأفهام[٢] ويحق له فيها أن يتمثل بقول لبيد العامري:

=عزالدين فوفد عليه على ما يذكر الشيخ محمد حسين شرارة في ذكرياته المسجلة مع السيد نجيب فضل الله والشيخ حسين مغنية للقائه والتباحث معه، وجرت بينهم مناقشة يفصّلها حفيد الشيخ شرارة فينقل عن أحد أفاضل تلامذة جده ما دار في هذا اللقاء: «بأنهم لما عرفوا بمجيء الشيخ موسى من النجف عزموا على زيارته وامتحانه، اعتقاداً منهم أنهم يتفوقون تحصيلاً على من في العراق، وكانوا يدرسون على طريقة قديمة (فقد تطور التعليم في العراق والتدريس والكتب مما لم يصلوا إليه)، وكانت الكتب التي يدرسون فيها الأصول «التهذيب للعلامة والعضدي»، فحينما وفدوا لزيارته وألقى بعضهم أسئلة كان يريد أن يستظهر عليه، فأجابه الشيخ بما لم يكن يترقبه، وأدار السؤال على الجميع، كلّ بما وصل إليه من الدروس، فرأوا أنفسهم قاصرين أمامه، وأبهرتهم قوته العلمية في جميع نواحيه وفنونه»، ويقول الشيخ محمد حسين شرارة «إنهم قرروا بعد مناقشة معه الانتقال من حناويه إلى بنت جبيل والانضمام إلى مدرسته، وكان الشيخ موسى مغنية والسيد نجيب فضل الله متقدمان في الدراسة على الشيخ حسين مغنية، فأقام له درساً خاصاً للحاق بهم»، ومن خلال هذه الطليعة الأولى تأسست مدرسة بنت جبيل وتطورت مع الوقت، بحيث صارت مقصداً لطلاب المعرفة من أنحاء الجبل العاملي.

(نقلاً عن **تعليقة** الشيخ موسى عبد الكريم شرارة على نص السيد محمد رضا فضل الله، ولا تزال مخطوطة، وعن **مذكرات** الشيخ محمد حسين شرارة المسجلة).

(١) قليب: البئر، إلى عقد الكرب: أي عقدة الحبل الذي يشدّ به الدلو.

(٢) اعتمد الشيخ شرارة أسلوب الحوار والتواصل مع العلماء والشخصيات العربية=

ومــــقـــــام ضـــــيّـــقٍ فـــــرّجــــتـــــه
بـــــمــــقــــامــــي ولـــــســـــاني وجَـــدَل

لـــو يـــقـــوم الـــفـــيـــل أو فـــيّـــالَـــهُ
زلَّ عـــن مـــثـــل مـــقـــامـــي وزحـــل

=المعروفة آنذاك للتباحث معهم في الشؤون الدينية والعامَّة، وممن زار بنت جبيل في عهده الأمير عبدالقادر الجزائري الذي سبق له واستقر في دمشق بعد قيادته للثورة في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، ونفيه من بلاده، وقد نشأت بينه وبين الشيخ علاقة ودّ واحترام، كذلك جمعته حوارات مع رضا الصلح حول الشؤون العامة، وعقد لقاءات ومناظرات مع العلماء والأقطاب آنذاك، وكانت له نوادر لطيفة مع العلماء من بينها ما يُنقل عن حوار لطيف في صور يشير إليه حفيد المترجم ومنقول في بعض دفاتر آل شرارة وفيه:

حدثنا العلامة الفاضل المرحوم الشيخ موسى مغنية أنه اجتمع العلامة المقدس الشيخ موسى آل شرارة في مدينة صور مع أحد القضاة من علماء صور، ممن له تقدم واعتبار وفضل واتقان خصوصاً في علم الكلام والتوحيد في مجلس حاشد، وكان ذلك العالم يجلس على كرسي يسأل مترنحاً: ما الظاهر؟ ما الباطن؟ مكرراً ذلك والقوم سكوت. فأجابه الشيخ شرارة من بينهم: الناس إشارات وأنت المعنى، فقال له: استغفر الله، ثم كرر السؤال، فأجابه الشيخ: أنت روح وغيرك جسد، فقال العالم: استغفر الله، ثم كرر السؤال، فأجابه الشيخ: قشر ولب، فلم يلتفت، ولما كرر طرح السؤال، ردّ الشيخ: لقد أجبناك ولم تلتفت لشيء، وضربنا لك الأمثال، بأن الظاهر بمنزلة الإشارة، والجسد، والباطن بمنزلة المعنى والروح.

عند ذلك نزل العالم عن كرسيه متواضعاً، فأخذ يتباحث مع الشيخ في مسألة كلامية أخرى ظهرت الغلبة للشيخ شرارة. فردّ ذلك العالم بأنه يريد أن ينتصر للأشعرية فأجابه الشيخ: ينبغي الانتصار للحق لأن الأديان ليست بالعصبية.

وكان يفد عليهم ويفدون عليه، ولقد وفد على الشيخ الأعظم شيخ علماء عامل، أجلّهم قدراً وأنبههم ذكراً، الشيخ أبي الحسن عبد الله ابن علي نعمة الجبعي[1]، فجعلا يتجاذبان أهداب الحديث ويتعاطيان كؤوس المسامرة، حتى أفضى بهم شجون الحديث إلى البحث، فنقض على الشيخ وأبرم، فاعترف له الشيخ بما سار إليه في المسألة، فأنشده في الحال قول أبي الحسن بن هاني الأندلسي:

كانت مسامرة الركبان تخبرنا
عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
لما التقينا فلا والله ما سمعت
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وله مع الشيخ العارف جامع أشتات العلوم والمعارف ذي الفنون الجمّة والمآثر الكثيرة الشيخ أبو علي محمد ابن عز

(١) الشيخ أبو الحسن عبد الله بن علي نعمة (١٢١٩هـ./١٨٠٤م. ــ ١٣٠٣هـ./١٨٨٥م.)، ولد في جبع وتوفي ودفن فيها من أبرز فقهاء جبل عامل في عصره وهو الذي يقول صاحب الجواهر أنه أحد الأربعة الذين شهد باجتهادهم كان عالماً جليلاً شاعراً أديباً ذا أخلاق سامية قرأ في جبل عامل ثم هاجر إلى العراق فدرس في النجف الأشرف على أبرز علمائها. أسس في جبع مدرسة دينية عامرة انضم إليها عدد كبير من الطلاب (محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ٨ ص٦٠).

الدين[١] (تغمده الله برحمته)، مناظرات ومباحثات في الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث وغيرهم من بقية العلوم، ومسامرات في فنون الآداب من زواهر الأنثار ودقائق الأشعار، وما إن بيّنا بعضه تضيق بطون الأوراق عن مساقه وفي كل ذلك يقر له بالفضل ويعترف له بالسبق[٢].

---

(١) الشيخ محمد علي عز الدين من بلدة كفرا (ت: ١٣٠٣هـ./ ١٨٨٥م.)، قارب عمره الثمانين، درس في جبل عامل في مدرسة جبع، ثم انتقل إلى العراق حيث بقي لست سنين قبل أن يعود إلى كفرا، ويباشر التعليم ثم أسس في حناوية مدرسة عمرت بالطلاب. قرأ عليه طلاب كثر من آل الأمين ومغنية ومروة. له مؤلفات عديدة في العبادات والتقليد والأصول وكتاب سوق المعادن وهو كشكول ومنظومة في المواريث. (محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٩ ص ٤٤٧).

(٢) من هذه المباحثات ما جرى عندما زاره الشيخ محمد علي عز الدين وناظره، وعرض عليه رسالة فقهية كان ألَّفها فعدّله عن كثير من مبانيه الفقهية، وحينما خرج سألوه عن الشيخ فأثنى عليه ثناءً عظيماً، وقال لو توقف أمر الشيخ على أن أحمل الكشكول وأجول في البلاد وأجمع له لما توقفت عن ذلك، وهذا يدل على قدسية الشيخ عز الدين، وصفاء نفسه وإنصافه وبعده عن الأخلاق الدنيوية واتصافه بالأخلاق النبوية، وكان من المعقول أن يدخل في نفسه الحسد والحنق بعد انتقال مدرسته، واشتهار تفوق الشيخ موسى، لكنه وهو العالم الرباني لم يصدر منه إلا ما يقربه إلى الله ويعلي مكانته عنده.
(نقلاً عن **تعليقه** الشيخ موسى عبدالكريم شرارة، مخطوطة، محفوظة في مكتبته).

صفاته:

وأمّا أخلاقه الكريمة وآثاره الحميدة وسجاياه المرضية، من بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمّ أهل الفرقة، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، وحسن السيرة، وخفض الجناح، ولين العريكة، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وحفظ الجوار، وكرم العهد، وتعاهد الفقراء في المبرّات، وإدخال المسرّات على قلوب المؤمنين، وبذل معروفه في العامة والخاصة مع قلة ماله وتوسط حاله، فأشهر من أن يذكر[١].

وكان مع ذلك قائماً بالمعروف والنهي عن المنكر، صادعاً بهما يؤثرهما على غيرهما، شاداً لظهور المؤمنين، راغماً لأنوف المنافقين، معرضاً عن الدنيا وزهرتها، مستأنساً بالليل ووحشته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الثكلى، يستوحش مما استأنس به المترفون، غزير العبرة طويل الفكرة، وناهيك بها من آثار رغيبة وأخلاق حميدة، ولقد عمر المساجد

---

(١) كان السيد محسن الأمين يردد حسب ما ينقل عنه حفيد المترجم سميه الشيخ موسى أن الشيخ شرارة مكث في جبل عامل ست سنوات، وقد أثّر في العلم والأخلاق ما لم نؤثره نحن في ستين سنة.

محكمة البنيان، وأمر بتعميرها في سائر البلدان، وكفى على ذلك شاهداً الجامع الأكبر في بنت جبيل الذي لم يعهد مثله في البر قديماً وحديثاً.

آثاره العلمية:

وله من المصنفات كتب عميمة المنافع جليلة الفوائد منها: منظومة في الأصول المسماة بالدرّة المنظمة[1]، الحاوية لقوانين الأصول المحكمة، جمع فيها أنظار القدماء والمتأخرين، بنظم وجيز قليل اللفظ كثير المعنى، تكاد تشربه مسامع حفاظه من عذوبة ألفاظه، ولقد أعرب فيها عن فضل واسع شهد له به كل دانٍ وقاص، وكان بعض مشايخه يستشهد بها على المنبر إعجاباً بها، وقد اعتنى بشرحها بعض المبرّزين،

(١) فرغ من نظمها وهو في النجف الأشرف سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ومطلعها:

القول بسم الله خير مفتتح ... والحمد لله على ما قد منح
نحمدك اللهم بارئ النسم ... ومنشئ الأشياء من العدم
وصلِّ دائماً على خير البشر ... نبيك الهادي وآله الغرر

ويشير إلى اسمها:

نظمت فيه هذه الوجيزة ... أرجوزه في فنها عزيزة
تكاد من عذوبة الألفاظ ... تشربها مسامع الحفاظ
سميتها بالدرة المنظمة ... حوت قوانين الأصول المحكمة

فشرحها شرحاً بديعاً تتناوله أيدي الطلاب، ويستمدون منه استمداد الأرض المجدبه من نوء السحاب[1].

وله منظومة في المواريث بديعة في فنها[2].

وله في الفقه كتاب لم يسمح الدهر بإتمامه، اشتغل عنه بمقاساة ألم المرض وتعليم الناس.

وله رسالة في تهذيب النفوس.

وتخرج على يده في بلادنا جملة من أهل الفضل مختلفو الطبقات في النحو والصرف والمنطق والبيان والأصول والفقه

---

(١) ممن اعتنى بشرحها ابنه الشيخ عبدالكريم (ت: ١٣٣٢هـ./ ١٩١٤م.)، وحفيده ابن الشيخ عبدالكريم الشيخ موسى الذي شرحها كاملة، والسيد مهدي الحكيم (ت: ١٣١٢هـ./ ١٨٩٥م.)، وهو والد السيد محسن الحكيم، شرحها في حياة الناظم وهو في النجف الأشرف، وقد شرح النص المتعلق بحجية القطع مطلعه:

القطع حجة بنفسه بلا ... جعل وإلا دار أو تسلسلا
وهو بنفسه طريق الواقع ... وغير قابل لجعل الشارع
ولن تناله يد التصرف ... نفياً وإثباتاً بلا توقف

لا يزال الأصل والشرح مخطوطاً، ونسخة منه موجودة في مكتبة السيد محسن الحكيم (راجع: الطهراني، **الذريعة**، ج١، ص٤٦١).

(٢) مطلع هذه المنظومة، التي لا تزال مخطوطة:

ما يوجب الميراث إما سبب ... تزويجاً أو ولا إما نسب
فالنسب الأباء والأولاد ... وبعده الأخوة والأجداد
وبعده الأخوال والأعمام ... مراتب ليس بها كلام

والحديث والدراية والتفسير والحكمة والكلام وفنون الأدب، وهم نيف وتسعون مشتغلاً[1].

وله(قده) في الشعر والنثر اليد الطولى من النظم الفريد ما يزري بالعقد النضيد. تتغنّى به الركبان فوق أوكارها وتشدو به القيّان في نغمات أوتارها:

إذا قـالـه لـم يـمـتـنـع مـن وصـولـه
جـدار مـعـلّى أو خـبـاء مـطـنّـب[2]

(١) كان الشيخ شرارة يشرف على الأساتذة والطلاب داخل مدرسة بنت جبيل، ويتولى المتابعة التفصيلية والتوجيه والتحفيز، وربما يكون هذا من المستحدثات في إدارة المدرسة، وهو كان يتدرج في التحسين بما يتلاءم مع مراحل الدراسة، ومن أساليبه الإدارية التعليمية أنه كان يجمع طلاب العلم كل ليلة جمعة، ويسأل كل واحد منهم عن دروسه ومن لم يحضر يرسل وراءه، وكان يتعاهد أمور الطلبة والمدرّسين، وينحي باللائمة على المقصّر، وينوّه بالمجتهد، وهذا هو التحفيز المعنوي في المدرسة، وحسّن كثيراً في طريقة التدريس بالالتزام بتفسير العبارة والاقتصار على ذلك، بينما كانت العادة الإكثار من الاستطراد وذكر مطالب خارجة عن العبارة، مما يطيل أمد الدراسة وخاصة في اللغة العربية، وذكر السيد محسن الأمين أنه ربما كان أول من درس القوانين بعد المعالم في جبل عامل، وكانت العادة تدريس شرح العميدي على تهذيب العلامة بعد المعالم، لكن هذه الإشارة للسيد الأمين تتعارض مع ما ذكره السيد الصدر في تكملة أمل الآمل في ترجمة الشيخ شرارة بأنه قرأ القوانين عند الشيخ مهدي شمس الدين قبل سفره إلى النجف الأشرف، أي كان تدريس القوانين متعارف عليه قبل مدرسة بنت جبيل.
(راجع محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج١٠، ص١٧٣).

(٢) مطنب: من طنب، أي الحبل الطويل الذي يشد به أوتاد البيت.

فشرَّق حتى ليس في الأرض مشرق

وغرّب حتى ليس في الأرض مغربُ[١]

وقد سنّ فيه طريقة لمن بعده، تحتذي الأدباء على مثاله، وتنسج على منواله، ولم يُرَ أجود منه في نقده ومعرفة غثّه وسمينه، «ينقده نقد الدراهم تنقاد الصياريف»[٢]، وسيشهد لك على ذلك شاهدا عدلٍ من شعره العالي القِدْح، الممتنع عن القَدْح الذي يجمع إلى المتانة رصانة وإلى السلامة عذوبة، ولقد اقتفت في ذلك أثره تلامذته، فسلكوا مسلكه ووطِئوا عقبه، فلهم فيه القدح المعلّى، وكل منهم يحق له أن يتمثل بقول الشاعر المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وأشعارهم لها منها عليها شواهد، ولما أتت على المرحوم المقدس في هذه البلاد خمس سنوات أحبّ لقاء الله فأحب الله لقاءه فقبضه باختياره إلى كريم جواره لمثل هذا فليعمل العاملون.

---

(١) من قصيدة للمتنبي، بدَّل المؤلف في بعض كلماتها لتتناسب ومحل الشاهد.

(٢) تنقاد الصياريف: بمعنى ارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نقدت.

ذكر يوم وفاته وما قيل فيه من الرثاء

ولقد كانت وفاته في الساعة السابعة من ليلة الخميس الواقع الحادي عشر شعبان الذي هو من شهور السنة الرابعة بعد الثلاثمائة من الألف من الهجرة النبوية على مشرفها أفضل الصلاة وأتم التحية، وله من العمر يومئذ سبع وثلاثون سنة، فشققت لرزئها القلوب فضلاً عن الجيوب، وعظمت مصيبته وجلّت رزيّته، فجرت لها العيون دماً، وعاد بها موجود الحياة عدما، فيا له من مصاب عمّ العباد ولبس الدين عليه ثوب السواد إذ فقدت ألوية العلوم عقيدها، وجماهير الفضل عميدها.

ولمّا طبّق نعيه الآفاق، جاءت مواكب الناس تتلوها مواكب، على ثمانية فراسخ من سائر الجهات من علماء وقضاة وعشائر وحكام إلى غير ذلك على اختلاف أصنافهم في جمع عظيم ومحفل حاشد، لو قلنا أنهم نيف وثلاثون ألفاً لم نبعد عن الصواب، فرفع سريره في الساعة التاسعة من النهار.

أخـذوا قـوائـمـه عـلـى رعـبٍ بـهـم
رُعـش الأكـفِّ طـوائـش الأحـلام(١)

---

(١) البيت من قصيدة للمؤلف السيد محمد رضا فضل الله.

وحشدوا عليه حشد الهيم على ورود الظمأ، لا يستطيعون بسط الخطى لكثرة الازدحام كأنما يوثقون في القيود:

حملوه فاثَّاقل النعش فيه
فاستخفّوا به الجبال الثقالا
كاد لولا زُمَرُ الملائك حفّت
فيه للحدِ ما استطاعوا انتقالا

فهم:

ملأوا البيد صراخاً وعويلاً
حتى جرى فيض الدموع سيولا[١]

وتقدمت تلامذته أمام السرير صفوفاً صفوفاً، وقد نقضوا عمم الهام وحلّوا الحبا في أيديهم الأعلام السود، ولما كان قبل دفنه بمدة يسيرة، قدم خليل بك الأسعد[٢] متصرف البلقا سابقاً في خيل كثيرة من خاصته وعشيرته، ومذ رأى السرير ترجّل عن بعدٍ وهرول في مشيته حتى وقف بين قوائم السرير، وما زال ينشج حتى علا صوته.

---

(١) من قصيدة الشيخ حسين مغنية تلميذ الشيخ شرارة في رثاء أستاذه.
(٢) خليل الأسعد: (ت: ١٣١٥هـ/ ١٩٠٠م.)، انتهت إليه رئاسة العشائر بعد وفاة علي الأسعد، دخل وظائف الدولة، فأحرز مقام المتصرفية، وعين متصرفاً للواء البلقاء «نابلس». (محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص٦١).

وكان ممن حضر في جنازته رضا أفندي[1] قائمقام صور شبل احمد افندي الصلح من قرية بيروت، وكان قد ضمّه مع المرحوم بعض الأندية، فرأى منه العجب العجاب وما يبهر العقول والألباب، فصار يترقّب تشفيع ذلك الاجتماع بآخر، وعندما بلغه المرض الذي توفي فيه قصد عيادته، فبينما هو في أثناء الطريق إذ أخبر بوفاته، وأحسن ما يقال في مثل هذا المقام:

نقضت بك الآمال أحلام المنى
واسترجعت زوّارك الأمصارُ

سلكت بك العرب السبيل إلى الهدى
حتى إذا ذهب الردى بك حاروا

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة
أثنى عليها السهل والأوعار[2]

---

(١) رضا الصلح (١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م. ـ ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.)، من رجال الادارة، ومن أعيان بيروت. ولد في صيدا، وتولّى اعمالاً حكومية، وانتخب نائباً عن مجلس المبعوثين العثماني سنة ١٩٠٩م. شارك في تشكيل احزاب، نفاه الترك في الحرب الاولى، ولما شكل الملك فيصل الحكومة العربية عينه وزيراً للداخلية. اعتكف في منزله بعد الاحتلال الفرنسي للبنان عام ١٩٢٠. (الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٢٦).

(٢) هذه الأبيات هي بالأصل للشاعر مسلم بن الوليد الأنصاري (ت: ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م.)، وقد بدّل المؤلف في بعض كلماتها لتتناسب مع محل الشاهد.

إلى غير ذلك من الرؤساء والأعيان، وفي اليوم الرابع عشر من شهر شعبان توجهت تلامذته ووجوه أهل بلده مع وجوه أخر من بقية البلاد لزيارة نبيّ الله يوشع، فلما كان من الحضرة الشريفة على بُعد ساعة نشروا الأعلام السود وأظهروا شعار الحزن على هيئتهم يوم وفاته ينشدون الرجز المتقدِّم ذكر مستهلّها، فاستقبلهم كل من حضر للزيارة، ولم يتخلف أحد، صفوفاً صفوفاً، يتلو بعضهم بعضاً، فمن واجد قد اتبع الدمع زفرة تكاد لها عوج الفلوج تشقق، ومن واضع كفه على كبده ولادم صدره بيده، كأن لم يمت حي سواه، ولم تقم على احد الا عليه النوائح.

تغمده الله برحمته وجزاه خير ما جزى أستاذاً عن تلامذته وحشره في زمرة الاولياء الصالحين بمحمد وآله وصحبه الطاهرين إنه أرحم الراحمين.

أشعاره

فصل في أشعاره الرائعة، وأبكار معانيه الفائقة
التي هي السحر الحلال والماء الزلال

ما قاله معاتباً بعض أصدقائه :

كـم ذا يـقـاطـعـنـي مـن لا أقـاطـعـه
وتـشـرب الـلـوم جـهـلاً بي مـسـامـعـه
إن مـال عـنـي لأوهـام وودعـنـي
فـإنـنـي وذمـامـي لا أوادعـه
لـيـس الـتـلـوّن مـن قـيـمـي ومـن شـيـمـي
إذا تـلـوَّن مـن سـاءت صـنـائـعـه
ولا أصـانـع إخـوانـاً صـحـبـتـهـم
فـمـا خـلـيـلـك يـومـاً مـن تـصـانـعـه
وشِـمْـتُ بـرق الـتـجـافـي مـن أخٍ ذهـبـت
بـه الـظـنـون بـوادٍ ضـاق واسـعـه
بـسـرى يـؤمُّ بـهـا غـربـاً ومـسـلـكـهـا
شـرقٌ فَـسُـدَّتْ بـداجـيـه مـطـالـعـه

فمل بها للفضاء الرحب وأسرِ بها
مع الصباح فلا تخفى شوارعه
جرى الهوى منه مجرى النفس فانطبعت
به على يد همّازٍ وشائعه
شربت رنقاً أجاجاً من موارده
وماء حوضي له راقت مشارعه

ومن قوله:

في كل يوم لي خليلٌ مفارق
ولاح بسمعي عنه وقر مرافق
وفي كل يوم لوعة ترقص الحشا
وقلب إذا ما أومض البرق خافق
ولي مهجة بين الضلوع تلهبّت
ودمع به إنسان عيني غارق
أبى الدهر إلا أن يرنّق مشرعي
فلا موردٌ لي منه صافٍ ورائقُ

ومما قاله راثياً العلاّمة المحقق والحبر المدقق المرحوم المقدس الشيخ ابو الحسن عبد الله ابن نعمة الجبعي:

نـعـى الـديـن والـدنـيـا فـعـمَّ ظـلامـهـا
وجـلّـل وجـه الـنـيّـرات قـتـامـهـا
وشـاعـت بـآفـاق الـبـلاد رزيّـة
وذرَّ عـليه مـن شـواظٍ سـمـامـهـا
ومـادت رواسـي الأرض والأرض زلـزلـت
بـأطـرافـهـا مـذ زال عـنـهـا شـمـامـهـا
وأوتـرت الأقـدار قـوسـاً فـاقـصـدت
حـيـاة قـلـوب الـعـالمين سـهـامـهـا
وجـال الـردى فـابـتـزّ مـن قـبّـة الـهـدى
عـمـوداً فـلـمـا زال زال نـظـامـهـا
وتلك الخطوب السود جرّت على الورى
مـصائـب في الأحشاء أضحى مقامها
مـضـت بـغـيـاث الـعـالـمـيـن وغـوثـهـم
وغـاب عـلى رغـم الـبـرايـا إمـامـهـا
فـمـن بـعـده لـلـمـجـتـديـن[1] يـنـيـلـهـم
إذا مـا الـسـنـون الـشـهـب أمحـل عـامـهـا

(١) المجتدين: من مجتدي، أي طالب الجدوى، والجدوى والجدا العطية.

لـقـد كـان مـن كـفـيـه عـشر غـمـائـم
تـسـحُّ[1] إذا الأيـام جـفّ غـمـامـهـا
ومـن بـعـده لـلـمـجـتـلـيـن يـريـهـم
سـنـا الـشـمـس في عـشـواء داج ظـلامـهـا
ومـن لـلـقـضـايـا الـمـشـكـلات يـحـلّـهـا
بـفـصـل الـقـضـا إن ثـار يـومـاً خـصـامـهـا
بـه سـلـك الـنـاس الـسـبـيـل إلـى الـهـدى
فـغـاب فـعـجّـت بـالمراثـي كـرامـهـا
وطـارت شـعـاعـاً مـن نـفـوس جـسـومـهـا
وذابـت قـلـوبٌ شـبَّ فـيـهـا ضـرامـهـا
دهـاهـا نـعـي نـاعٍ بـفـيـه رغـامـهـا
فـقـرَّح أكـبـاد الأنـام أوامـهـا[2]
وصـاحَ خـبـا الـمـصـبـاح والـنـعـمـة انـطـوت
عـن الأرض فـارتجـت وضـجّـت شـآمـهـا
وفـلّـت يـد الأيـام سـيـفـاً بـعـامـلٍ
فـأضـحـت يـداً شـلاّء بـان حـسـامـهـا

---

(١) تسح: تصبُّ.

(٢) أوام: العطش الشديد الذي يضج منه العطشان.

وعطّ الجوى مني الحوايا وأرسلت
عيوني دماً ذوب قلبي انسجامها
وبت كأني بين أنياب أرقشٍ[1]
مسهّدُ عينٍ بان عنها منامها
خليليَّ هبَّا وانشدا أين مهجتي
فقد ظعنت عيني وشطّ مرامها
وأنحلني رزءٌ جليلٌ فلو على
ثمام[2] أراني لا يميل ثمامها
وإني لفي شغل بنفسي عن الورى
وشغلي بها عمن سواها جمامها
ولم يبق لي في خلة الناس مطمع
فقد قلّ من يرعى لديه ذمامها
وما كل أرض تنبت الزرع يانعاً
وإن أنبتت كان النتاج حطامها

---

(١) أرقش: الحية المرقّطة بالأبيض والأسود.
(٢) ثمام: نبت ضعيف قصير لا يطول، فلو وقف عليه من ضعفه لما مال، وفي ذلك تعبير عن مدى ما أصابه من نحول.

أأرجو صفاءً من قلوب كأنها
صفا الصم أن تصَّدّع عنها التئامها
أرى واحداً كالألف لكن كواحدٍ
ألوف وإن لم تحص عدّاً فئامها[1]
وكم فيهم من يعجب الناس منظراً
ويعجب بين السحب مرأى جهامُها[2]
وما الناس إلا خابطٌ إثرَ خابطٍ
بليل على عمياء مرخى زمامها
فدعني ونفسي والجوى لرزيّة
تسيل من سحب دمعي سجامها[3]
بها ثلم الإسلام والعلم ثلمةً
وتلك لعمري لا يسدُ انثلامها
مصاب دهى الدنيا بفقد عميدها
وغيب شمس الكون عنها حمامها

---

(١) الفئام: الجماعة.
(٢) الجهام: السحاب الذي لا مطر فيه.
(٣) السجام: سيلان الدمع.

وحامت قلوب الناس حول سريره

لتُروى كما للورد حام حَمَامها

وحفوا اعتصاماً من حوادث دهرهم

به وبه الأيام كان اعتصامها

وساروا به والأرض مادت كأنها

هي الساعة الكبرى دهاهم قيامها

وأمّوا به من جنة الخلد روضة

فحلّ بها طود البلاد همامها

طووا في الثرى من كان أمْناً لخائفٍ

وصمصامة[1] ما كان يخشى انحطامها

طووا مزنة[2] التأميل بحر معارفٍ

ونجماً به في الأرض يهدى انامها

هو الحبر عبد الله نعمة ربِّه

مضى وعرى العلياء بان انفصامها

مضى علم الأعلام عنها فنكسّتْ

وأعناقها مالت وطأطأ هامها

---

(١) الصمصامة: السيف الصارم الذي لا ينثني.

(٢) المزنة: المطرة، أو السحاب ذو الماء.

وفـــارقـــت الأرواح أجـــســـامـــهـــا أســـى

عـشـيّـة أمـسـى فـي الـصـفـيـح قـوامـهـا

ولـــولا الـــتـــأسّـــي بـــالـــنـــبـــي وآلـــه

لأتـلـف أجـسـام الـعـبـاد سـقـامـهـا

وذا حـــســـن الأخـــلاق مـــن خـــيـــر دوحـــة

وخـيـر بـطـون أنـتـجـتـه عـقـامـهـا

يـــزيـــد عـــلـــى مـــا فـــيـــه مـــن طـــيـــب ذاتـــه

كـمـالا إذا الأيـام زاد غـرامـهـا

رضًـى بـالـقـضـا والـصـبـر اجـمـل بـالـفـتـى

إذا مـا الـرزايـا جـاش يـومـاً لـهـامـهـا

وسـقـيـاً لـقـبـر ضـم جـسـمـاً مـن الـعـلـى

بـه جُـبَـعٌ طـالـت وجـلّ مـقـامـهـا

ولا زال تـــطـــواف الـــمـــلائـــك حـــولـــه

عـلـيه مـن الـبـاري ومـنـهـا سـلامـهـا

ومنها في رثاء المرحوم المبرور حليف التقى وقرين الورع السيد زين العابدين آل فضل الله الحسني[1]. مصدِّرها في رثاء

---

(١) هو عم المؤلف.

سيد الشهداء(ع)، ذاكراً في أثنائها المرحومين المقدسين أخويه السيد محي الدين[1] والسيد رضا[2] تغمدهم الله برحمته.

دهى هاشماً ناعٍ نعى في محرم
بيوم على الإسلام أسود مظلم
بيوم جليل رزؤه جلّل السما
وشمس الضحى فيه باغبر أ قتم
بيومٍ أحال الدهرَ ليلاً مصابُه
وأجّج أحشاء العباد بمضرم
مصاب على آل النبي محمد
عظيم مدى الأيام لم يتصرّم
وخطبُ كسى الدنيا ثياباً من الأسى
وطبّق آفاق البلاد بمأتمِ
عشية جادت عصبة هاشمية
بأنفسهم عن خير مولىً مقدّم
إلى أن قضى والماء ظام ظواميا
يرون المنايا دونه خير مطعم

(١) هو عم المؤلف.
(٢) هو والد المؤلف.

وأضحى فريداً سبط أحمد لا يرى

نصيراً سوى عضب ولدن مقوّمَ

وصال بوجه مشرقٍ وبعزمة

تفلّل ملتفَّ الخميس العرمرم

إلى أن دعاه الله جل جلاله

فألوى عنان العزم غير مذمّم

قضوا دون حجب الطاهرات فأصبحت

حواسر تسبى بين طاغ ومجرم

وكانت بخدرٍ سجفه[1] البيض والقنا

مُحاط بجردٍ فوقه كل ضيغَمِ

وكم ليث غاب دونها خاض غمرة

إلى الموت حتى غادروها بلاحم

فتلك رزايا تصدع الصمّ والصفا

ويهمي لها دعج العيون من الدم

وما زالت الأيام تسقي بني الهدى

بكأسٍ صروف لا يصاب وعلقم

---

(١) السجف: الستر.

وكم طويت مني الضلوع على جوى
وحزنٍ على مولى همام معظّم

من السادة الغر الذين وجوههم
مصابيح يجلي نورها كل مبسم

مضى محي دين الله من كان للهدى
وللعلم والتقوى كجزءٍ مقوَّم

مضى والرضا الزاكي تلاه بروضة
عليه الرضا يهمي بأوطف مرزم[1]

وقد هاجني ناعٍ نعى سيداً علا
بتقواه والأصل الزكيّ المقدَّم

نعى علم السارين ليلاً لأسرةٍ
سراةٍ يرون المجد أعظم مغنم

فكم لهم من كل قدرٍ مفازة
إذا السنة الشهباء فاغرة الفم

فصبراً بني الزهرا فكم من رزية
دهت وعلاكم طوده لم يُهدم

(١) أوطف مرزم: أوطف أطول، ومرزم الغيث والسحاب الذي لا ينقطع وعده.

فإن غاب منكم نجم فضلٍ وسؤددٍ
فقد زهرت فيكم ثواقب أنجم

ومنها في رثاء أخيه المرحوم المبرور الشيخ محمد تغمده الله برحمته عندما بلغه خبر وفاته من العراق، وسنأتي على خبر وفاته وما قيل فيه من الرثاء:

ما لنفسي ذابت وطارت شعاعاً
ولقلبي إثر الظعائن ضاعا
ذهب الصبر والأسى يوم بانوا
وتنادوا فيه الوداعا الوداعا
غادروني مثل الخيال صريعاً
وألفت السقام والأوجاعا
أخذوا مهجتي وقلبي وأبقوا
نفساً خافقاً جوى والتياعا
وهجرت الرقاد إلا لزور
من خيالٍ أذوقه تهجاعا

ولقد ورد إلى سيادته أبيات من الخريت[1] الماهر الشيخ

(١) الخريت: الحاذق.

أحمد ابن الشيخ عبد الحسين نجل المرحوم المقدس الشيخ الأعظم شيخنا ومولانا الشيخ محمد حسن باقر[1] وهي هذه:

الـعـامـلـيُّ تـقـرُّ فـيـك عـيـونـه
وأردّ مـنـك بـصـفـقـة المغـبـون

فـلأجـلـبـنّ عـلـى الـعـوامـل غـارةً
مـن كـل جـائـلـه الـنـسـوع[2] صـفـون

يـحـمـلـن فـوق مـتـونـهـن أجـادلاً
ولجـوا عـريـنـه كـل ليث عـريـن

سـلـبـوا سـويـداء الـقـلـوب وظـنـهـم
سـلـبـي عـليهـم ليس بـالمظـنـون

---

(١) محمد حسن بن الشيخ باقر (بحدود ١١٩٢هـ./ ١٧٧٨م. ـ ١٢٦٦هـ./ ١٨٤٩م.) المشهور بصاحب الجواهر، نسبة إلى اسم كتابه، تتلمذ على كبار فقهاء النجف الأشرف كالوحيد البهبهاني، والسيد جواد العاملي، وآخرون، وأخذ مكانته العلمية داخل المدينة حتى تقلّد زمام المرجعية وأقام حلقة درس انضم إليها كبار العلماء آنذاك، ونهض بالدور العلمي للنجف الأشرف، وصار مقروناً باسمه واسم كتابه. (عن مقدمة **جواهر الكلام**، ج١، ص١٠).

(٢) النسوع: إشارة إلى ما يشد به الرحال وينسج على هيئة أعنة البغال.

فأجابه تغمده الله برحمته:

ألا أيـهـا الـقـلـب الـذي قـاده الـحـب
أفـق إن أمـر الحـبِّ أيـسـره صـعـبُ
إذا كـان لا يـسـلـيـك طـول تـجـنّـبٍ
وصـد ولا يـشـفـيـك مـن غـلّـة قـرب
فـمـا أنـت إلا هـالـك ومـعـذبٌ
رهـين بـأيـدِ الـشـوق مـرتهـن صـبّ
تـكـلـفـنـي مـا لا أطـيـق مـن الـهـوى
وتـرحـل عـنـي حـين جـلّ بي الخـطـب
كـمـن شـنَّ نـحـوي غـارة الـبـغـي والـجـفـا
وليس سـوى ودّي عـلـيّ لـه ذنـبُ
ولـي عـزمـة قـد أرهـف الـحـزم حـدّهـا
تـقـاصـر عـن إدراكـهـا الأنـجـم الـشـهـبُ
سـألـقـي عـصـاً تـسـعـى إلـيـه كـحـيّـة
تـكـاد لـهـا الأحـشـاء تـذهـب والـلـبُّ
وعـنـدي مـن الـسـمـر الـرمـاح عـوامـلٌ
طـوالٌ وبـيـضٌ شـأنهـا الـطـعـن والـضـربُ

تـراهــم إذا مــا أبــدت الــحــرب نــابــهــا
يــنــالــون شــأواً ليس تــبــلــغــه الــنــجــبُ
كــمــاة إذا دارت رحــى الــحــرب بــيــنــهــم
نــجــائــب فــي يــوم الــهــزاهــز لا تــكــبــو
وإن بـــهـــم مـــن لا يـــخـــاف بـــمـــوقـــفٍ
ولي عـزمـة مـن دونهـا الـصـارم الـعـضـبُ[1]
عــلــيــكــم ســلام بــالــرحــيــق خــتــمــتــه
تــســاقــط مــن مــنــشــوده الــلــؤلــؤ الــرطــب

ومنها في كريم المنابت طيب المغارس الجهبذ الأمجد المرحوم أبا سلمان الحاج محمد بزه رحمه الله:

أصـمَّ نـاعـيـك سـمـع الـدهـر حـيـن نـعـى
وطـبّـق الأرض مـن أرجـائـهـا جـزعـا
وأصــبــحــت أعــيــنُ الــعــلــيــاء بــاكــيــة
لما رأتـــك عـــلى الأعـــواد مـــرتـــفـــعـــا
وفـــتّ رزؤك فـــي عـــضـــد الـــنـــدى ورمـــى
قـومـي الـردى منك طـود الـعـز فـانـصـدعـا

(١) الصارم العضب: السيف القاطع.

وسام عاملة بالخسف حين طوى
في اللحد فرداً لا شتات العلى جمعا
فلتبك أيامك البيض التي اكتسبت
من الحوادث إن خطْبٌ بهم وقعا
وكنت في العشوة الغبراء بحر ندًى
على العفاة إذا غيث السما انقشعا
كنت اللسان الذي فصل الخطوب به
حتى تجرّد سيف الحتف فانقطعا
وكنت سيفاً لمن فيها يصول به
على الصروف وحصناً فيهم منعا
ساروا بنعشك والأملاك تحمله
لبقعة من سناها النور قد سطعا
في ظل يوشع في أرض مقدسة
ولا يخيب أمرؤٌ في ظله وضعا
رحلت عنا ورأيٌ كالحسام إذا
أداءُ قومٍ نبت في معضلٍ وقعا
مضيت والناس ظلوا حائرين أسًى
وفاقد العين يمشي حائراً فزعا

بـلـى لـهـا بـقـيـت عـيـنٌ تـصـيـب بـهـا
مــواقــع الأمــن إن تــاه الــورى جمــعــا
ولا غــضــاضــة إن بــدرٌ هــوى فــبــدا
بــدر بــأفــق بــلاد الــشــام قــد لمعــا
غـوث الأنـام سـلـيـمـان الـذي كـرمـت
أخـلاقـه وعـلى طـبـع الـعـلا طـبـعـا
فــرعٌ عــلــى كــرم أعــراقــه وشــجــت
والـفـرع كـالأصـل يجـنـي مـنـه مـا زرعـا
صـبـراً جـمـيـلاً فـخـيـر الـنـاس أصـبـرهـم
ولا يــردُّ قــضــاء الله مــن جــزعــا
لا زلـت بـالـحـلـم مـنـعـوتـاً تـفـوق بـه
عـلى الـورى بـعـبـاء المجـد مـدّرعـا
ودُمْــت مــعْــقِــل أمــن ســالــمــاً أبــداً
مـع سـائـر الخـلـف الـبـاقـين مجـتـمـعـا
ويـا سـقـى الله قـبـراً ضـمّ جـسـم عُـلاً
مـن هـاطـل الـعـفـو مـنـهـلاً ومـنـهـمـعـاً

ومنها أرجوزة أبرز عرائضها من حذر الضمائر وجلاها في صفحات الدفاتر عند قفوله من العراق إلى بلاده ومحل ميلاده وما جرى له في سفره[1].

ومما قاله مفتخراً:

لـي عـزم كـمـرهـف الـحـدّ مـاضٍ
ومـقـامٌ عـلى الـسـمـاء تـسـامـى
وطـبـاعٌ كـريـمـة قـد هـواهـا
لي أنـفٌ بـمـارن[2] الـنـجـم قـامـا
كـم مـزايـا ورثـتـهـا عـن أصـولٍ
ذاكـيـات تـضـوَّعـتْ كـالخـزامـا[3]

---

(١) مطلعها:

سبحانك اللهم شاهد السفر ... والخلق الذي بعينه الحضر
وجاعل النجوم في الليالي ... ليهتدى بها من الضلال
صلِّ على خير الورى محمد ... وآله ذوي العلى والسؤدد

ويشير فيها إلى معاناته في طريق السفر ومنها:

قد سرقوا منّا إناء السمن ... فبتَّ فيها فاقداً للأمن
ارعى ثيابي تارة وصحبي ... مسهَّداً طرفي حذار النهب

(٢) مارن: أسفل الأنف.

(٣) الخزاما: نبت من نبات البادية من أطيب الأزهار رائحة.

لــم تــوف خــمــســاً وعــشــريــن ســنــيَّ

والِّي الـــزمـــان ألـــقـــى الـــزمـــامـــا

أيــهــا الــدهــر ســوف تــنــظــر بــأســي

وتـــرى أيُـــنـــا أشـــدَّ خـــصـــامـــا

لا تـــرمـــنـــي وخـــذ حـــذارك مـــنّـــي

فــســأســقــيــك مــن يــديَّ الحِــمــامــا

أتــرى جــانــبــي يــلــيــن ومــعــنــى

غــايــة الخــلــق مــن أقــام الــنــظــامــا

مــبــدأ الــكــائــنــات مــن فــيــه تــاهــت

ســائــلات الأوهــام والــعــقــل هــامــا

ومما قاله في رثاء نور حدقة العلم والدين الذي حاز من الفنون التفاصيل والجمل العالم العامل وبدر الفضل المتكامل الشيخ أبي علي محمد ابن عز الدين (قده).

أكـــذا تـــكـــون جـــنـــايـــة الأقـــدارِ

أذكـــتْ بـــقـــلـــب الـــديـــن حـــرَّ أوار

هـــدمـــت مـــن الإســـلام أيَّـــة قـــبّـــةٍ

ورمـــتْ مـــنـــار هـــدىً وأيُّ مـــنـــارِ

رجـفـت لـهـا الأرضـون تـؤذن أهـلـهـا
بـــزوال طـــودِ عُـــلا وركـــن فـــخـــار
فـجـمـعـت قـلـبـي بـالـيـديـن وهـاجـنـي
خـــبـــر أتـــى مـــن أفـــظـــع الأخـــبـــار
عَـلَـمٌ هـوى فـلـوت بـه أعـنـاقـهـا
غـــلـــب الـــرجـــال خـــواشـــع الأبـــصـــار
ومُـــهـــنّـــدٌ شـــحـــذ الإلـــه غـــراره[1]
لـــلـــديـــن فـــلـــلّـــه الـــقـــضـــاءُ الجـــاري
ذهـبـت بـه أيـدي الـقـضـاء فـصـوّحـت[2]
كـــل الـــربـــوع بـــســـائـــر الأقـــطـــار
والـريُّ جـف وأقـلـعـت ديـم الـحـيـا
والأرض تـــرضـــع بـــلّـــة الأشـــجـــار
ذهـبـت بـه أيـدي الـمـنـون وإنـمـا
ذهـــبـــت بـــبـــحـــر مـــعـــارفٍ زخّـــار
ولـقـد قـضـى هـو والـمـكـارم والـعـلا
ومـــضـــى ونـــور الـــعـــلـــم فـــي الأســـرار

---

(١) غرار: حدّ السيف.
(٢) صوحت: جفّت ويبست.

يــا غــيــث مــنــتــجــع ومــزنــة آمــلٍ
إن عـــمَّ عـــام المحـــل بـــالإعـــســـار

غــشــيــت بــلاد الــشــام بــعــدك ظــلــمــة
عـــشـــواء نـــقّـــبـــت الـــورى بـــســـرار

فــارقــت دهــرك ســاخــطــاً لــفــعــالــه
وجـــواره فـــســـكـــنـــت أرفـــع دار

وتــركــت فــي الأحــشــاء بــعــدك لــوعــة
لم تـــبـــق فـــي الآمـــاق طـــعـــم غـــرار[1]

حــمــلــوا ســريــراً ضــمَّ آيــات الــهــدى
وحـــوى الـــكـــمـــال ومـــعـــدن الأســـرار

هــو ذلــك الــتــابــوت فــيــه ســكــيــنــة
وبـــقـــيّـــة مـــن حـــكـــمـــة الجـــبّـــار

يــمــشــون والأقــدام طــائــشــة الــخــطــا
جـــزعـــاً ووجـــداً والـــعـــيـــون جـــواري

وطـــووه والـــتـــقـــوى بـــقـــبـــر ضـــمـــه
وشـــريـــعـــة الـــهـــادي وســـر الـــبـــاري

(١) غرار: قليل النوم.

جـــدث إذا تـــاه الـــوجـــود بـــه اهـــتـــدوا
بـــنـــســـيـــمـــه الـــزاكـــي بـــعـــرف عـــرار[1]
دفـــنـــوا مـــحـــمـــد عـــزَّ ديـــن مُـــحـــمـــدٍ
مـــن كـــان يحـــيـــي الـــليل بـــالأذكـــار

ولقد كان قليل الاعتناء بالشعر، صار همّه إلى ما هو أهم، وإن كان له الباع الأطول والغاية القصوى.

(١) بعرف عرار: ربح طيبة.

مدائحه ومراثيه

مدائحه:

وأمّا مدائحه فمنها ما هو على طريق الموشح مهنئاً له يوم زفافه تنتظم في خمسين عقد، لجناب السيد السعيد السيد سيد محمد سعيد شاعر العراق على الإطلاق أولها.

هاج برق السعد قمري الهنا

فتغنى هزجا في هزج

وله أيضاً مراسلاً: كم يجتديني الغيث غيث الأدمع[1].

ومنها لجناب العالم الفاضل، وبدر العلم المتكامل السيد سيد نجيب الدين فضل الله الحسني المتقدم ذكره مادحاً له على

---

(١) هي من رسالة شعرية ونثرية طويلة مطلعها:

كم يجتديني الغيث غيث الأدمع وتشبُّ نار البين بين الأضلع
وأبيت لا يخطو المنام بناظري إلا كما يخطو الملام بمسمعي
كيف المنام ودون من أنا صبُّهُ فرط القتاد وشوقه في مضجعي

طريق التخلص في رثاء الشيخ عبد الله ابن نعمة الجبعي، يقول فيها:

إن غـيـبـت مـنـه الـلـيـالـي كـوكـبـا
كـان الـضـيـاء بـه لـعـين المجـتـلي

فـالـلـه أثـقـب نـار مـوسـى بـعـده
لـلـمـهـتـدي والمجـتـدي والمصـطـلي

وقـد ارتـقـى مـن طـور سـيـنـاهـا ذرى
مـن دونهـا هـامُ الـسـمـاك الأعـزل[1]

الـقـت عـصـاهـا فـي فـنـاه فـلـو بـغـى
مـنـهـا الـرحـيـل لـغـيـره لم تـرحـل

مـا سـحَّـلـت أيـدي الـرجـال حـبـالـهـا
الا وأبـرم كـل حـبـل مـسـحـل[2]

قـد شـد مـنـهـا مـنـكـبـيـهـا فـاسـتـوت
وأقـام رايـتـهـا بـزنـد أعـبـل[3]

---

(١) السماك الأعزل: اسم نجم، وسُمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب.
(٢) حبل مسحل: المفتول فتلاً واحداً.
(٣) أعبل: ضخم أو مفتول.

ولـقـد تـحـمـل يـافـعـاً أعـبـاءهـا
فـأقـل مـنـهـا كـل عـبء أثـقـل
زهـرت بـحـكـمـتـه مـصـابـيـح الـهـدى
فـغـدى الـظـلام عـن الأنـام... بـمـعـزل
وجـلـى بـأثـمـده[1] الـعـيـون فـأبـصـرت
شـمـس الـنـهـار بـجـنـح ليل أليل
ويـرى إذا مـا الـعـام قـطـب وجـهـه
مـتـهـلـلاً كـالـعـارض[2] المتـهـلـل

ومنها:

حـسـب الـشـريـعـة بـعـد عـبـد الله أن
يـبـقـى لـهـا مـوسـى رفـيـع المنـصـل[3]
خـسـر الـذي يـشـتـارهـا مـن غـيـره
أيـن الحـلاوة مـن نـقـيـع الحـنـظـل[4]

---

(١) أثمد: حجر يكحل به لشفاء العين من مرضها.
(٢) العارض: السحاب.
(٣) المنصل: السيف.
(٤) نقيع الحنظل: نبت مرّ يُنقع فيُصبح شرابه أشد مرارة.

قد نال في المجد المؤثل[1] غاية
عنها تقاصر كل باع أطول
لا زال للراجين غيثاً هامعاً[2]
يهمي وللراجين أحرز معقل
وإليكها بدوية تحدوا بها
الركبان في جنح الظلام المسدل
ما أن تحل من العشي بمنزل
إلا وترحل في الغداة لمنزل

ومنها ما قد مدحه الفاضل الكامل والأديب الأريب، ومن له في الأدب أوفر نصيب وفي الفضل القدر المعلّى والرقيب السيد محسن الأمين الحسيني على طريق التخلص في رثاء الشيخ المتقدم ذكره:

إن يكن غيب المنون شهابا
فلقد أطلع الزمان شهابا
فبموسى وعالم الدين قامت
ساميات ومنبت العزّ طابا

---

(١) المؤثل: الدائم.
(٢) همع: سال ودفق.

مـــاجـــد عـــرق الـــبـــهـــالـــيـــل فـــيـــه

ضـــارب فـــي ذي المعـــالي قـــبـــابـــا

لـفـظـهُ الـشـهـد مـطـعـمـاً فـإذا مـا

قـال فـي الله مـغـضـبـاً كـان صـابـا

وكـــذا الـــقـــطـــر ربـــمـــا كـــان درّا

ولـقـد يـسـتـحـيـل سـمّـاً مـذابـا

بـحـر عـلـم مـن دونـه بـحـر مـوسـى

ذا أجـــاج وذا يـــســـيـــغ شـــرابـــاً

طـود حـلـم مـن دونـه طـور سـيـنـا

بـــحـــليم يـــأبـــى لـــه أن يـــعـــابـــا

أتـــرفـــت كـــفـــه فـــراعـــنـــة الـــفـــقـــر

بـــبـــحـــر طـــمـــا[1] وفـــاض عـــبـــابـــا

قـــل لـــمـــن يـــقـــتـــفـــي بـــلـــوغ مـــداه

أفـــتـــســـتـــطـــيـــع لـــلـــنـــجـــوم طـــلابـــا

لـيـس مـن طـار فـي الـسـمـاء عـقـابـا

مـثـل مـن طـار فـي الـهـواء ذبـابـا

---

(١) بحر طما: فاض وارتفع موجه.

سـد عـنّـا بـاب الـظـلالـة والـجـهـل

ولـلـعـلـم والـهـدى فـك بـابـا

ومنها لرضيع لبان الفضائل ونجم المواكب والمحافل، جديل البلاغة المحكك وعذيقها المرجب[1] من وشحت أعراقه في ربوات المجد وسطعت أنوار فضائله في غرة الثناء والحمد، الكامل الفاضل الشيخ حسين مغنية بلغه الله في كل ما يريده، ولا غروى فإنه إبن أبيه ومن شابه أباه فما ظلم، على طريق التخلص من المرحوم المتقدم ذكره ومنها:

بـقـيـت لـلـعـلـى لـلـيـمـيـن لـقـىً أن

حـسـم الـدهـر مـن يـديـه الـشـمـالا

جـعـل الله مـنـك يـا مـوسـى دعـامـا

حـافـظـاً سـقـفـهـا بـه أن يـطـالا

قـام عـرش الـديـن الـمـنـيـع فـيـه

وهـو لـولاه كـان ثـل[2] أنـثـلالا

---

(١) المحكك: كثر به الاحتكاك حتى صار مملساً. عذيق: تصغير عذق أي النخلة. المرجب: من رجبة يُجعل حول النخلة شوك فلا يرقى إليها.

(٢) ثل: انهدم.

عـــلــــم الله أن عــــامـــل تـــاهـــت

عــن طــريــق الــهــدى وضــلــت ضــلالا

فـــأجـــال الـــرجـــال جـــول قـــداح

فـــرآه أعـــلى الـــرجـــال فـــصـــالا

فــاجــتــبــاهــا لــه عــلــى الــعــلــم مــنــه

مــــاجـــداً يــــرهـــق الآلاء ســـجـــالا

وبـــوادي الـــغـــري لا طـــور ســـيـــنـــاء

تجـــــلى لـــــه الإلـــــه تـــــعـــــالى

لا ولا قـــال فـــي ظـــلال شـــعـــيـــب

بـــل بـــظـــل الـــعـــلى اســـتـــراح وقـــالا

ومنها :

يــا ركــوبــاً حــرفــاً أمــونــاً[1] إذا مــا

ســار فــيــهــا تــنــســل فــيــه انــســلالا

أنـــت إن مـــا أتـــيـــت وادٍ طـــواه

وحمــاه فــاخــلــع هــنــاك الــنــعــالا

(١) أموناً: الناقة.

فـهــنــاك الــوادي الــمــقــدس شـبّــت

نــار مــوسـى الـكـليم فـيـه اشـتـعـالا

ومنها للمؤلف السيد محمد رضا فضل الله الحسني لم تحضرني الآن، ومدائحه أكثر من أن تحصى ولو أتينا عليها بتمامها لضاقت بطون الأوراق.

مراثيه:

وأما مراثيه التي أشرقت في سماء البلاغة وتلألأ بدرها في أفق الفصاحة فمنها لجناب السيد الفاضل والعالم العامل السيد نجيب الدين فضل الله الحسني:

هـل يـعـلـم الـدهـر مـن أودت فـوادحـه

أو يـعـلـم الـرمـس مـن وارت صـفـائـحـه

أو تـعـلـم الأرض لـم مـادت جـوانـبـهـا

أو يـعـلـم الـكـون لم ضـاقـت مـسـارحـه

بـلـى تـفـطـر مـن أرجـائـهـا عـلـم

مـن فـوقـهـا الـطـيـر مـا رفـت جـوانـحـه

وغـيـض بـحـر لـو أن الـبـحـر قـطـرتـه

يـومـاً لـعـبّ أديـم الأرض طـافـحـه

وكـورت مـن سـمـاء الـديـن شـمـس هـدى

فــأصــبــح الأفــق مــرســاة ســوابــحــه

يــا صــاحــبـي قــفــا واســتــوضــحــا خــبــراً

إن صــح فــالــعــيــش مــر طــاب نــازحــه

أغــالــط الــنــفــس فــيــه وهــي تــثــبــتــه

قــســراً ويــســتــر وجــه الــشــك واضــحــه

لــمــا أتــانــي صــكــت جــبــهــتــي قــد مــي

كــأن جــســمــي قــد بــانــت جــوارحــه

قــالـوا أبـو الـمـجـد قـد أودى فـقـلـت لـهـم

هــل يــســتــطــيــع الــردى يــومــاً يــكــافــحــه

ألــيــس تــمــلأ قــلــب الــمــوت هــيــبــتــه

رعــبــاً ويــقــصــر عــنــه الــطــرف طــامحــه

قــد جــئــت ربــك يــا مــوســى عــلــى قــدرٍ

والــديــن بــعــدك قــد قــامــت نــوائــحــه

وأعــيــن الــمــجــد لا تــنــفــك بــاكــيــة

بــمــدمــع راح يحــكــي الــغــيــث ســافــحــه

أضـرمـت قـلـب الـعـلـى نـاراً وقـد بـقـيـت

فــيــه تــبــاريــح حــزن لا تــبــارحــه

واعتاض بعدك نبت الأرض من مطرٍ
حراً يذيب دماغ الضب لافحه
ليبك يومك ملهوفاً أضرّ به
ضيم ومختبط طاحت طوائحه

ومنها لجانب الأديب الكامل الشيخ حسين مغنية يقول فيها:

حملوا سريرك فاستخفوا حمله
ما إن يخف من الجبال ثقالها
وكأن أملاك السما بك قد علت
نحو الجنان يؤمهم ميكالها

ومنها:

وأروم نظم الشعر فيك جواهرا
ويقل فيك بأنها أمثالها
لكن عرتني من رثائك لكنةٌ
لا يرتجي حتى الممات زوالها

يــا راكــبــاً زيــافــه نــفــاحــة[1]

يـطـوى مخـاريـم[2] الـفـلا أرقـالـهـا[3]

نــادى إذا جــئــت الــغــري وأهــلــه

ذهـب الـذي لـلـمـجـتـبـين ثـمـالـهـا[4]

نـــادي بـــه ذهـــب الـــهـــدى

وتـقـطّـعـت عـمـد الـعـلى أوصـالـهـا

ومنها للسيد الأديب السيد محسن أمين الحسيني القشاقشي:

زمّــوا الــنــيــاق وازمــعــوا الــتــرحــالا

وبــقــيــت أســأل بــعــدهــم أطــلالا

كــانــت لــيــالــيّ الــقــصــار بــقــربــهــم

حــتــى نــأوا عــنــي فــعــدن طــوالا

أفـديـهـم مـن مـرقـلـيـن[5] تـحـمـلـوا

وســرت دمــوعــي إثــرهــم أرقــالا

---

(١) زيافة نفاحة: الناقة المختالة في سيرها.

(٢) مخاريم: طرق بين الجبال.

(٣) أرقالها: السير السريع.

(٤) ثمال: ملاذ.

(٥) مرقلين: مسرعين.

ودعــت قــلــبــي يــوم تــوديــعــي لــهــم
والــــصـــبـــر لما قـــربـــوا الأجمـــالا
يــا واقــفــاً بــالــدار يــســأل ربــعــهــا
خـــل المنـــازل واتـــرك الـــتـــســـآلا
واربــع عــلى جــدث لــمــوسى واخــلــعــن
نـــعـــليك أمـــا جـــئـــتـــه إجـــلالا

ومنها:

جــاء الــزمــان بــنــكــبــة فــي الــديــن قــد
مـــلأت قـــلـــوب الـــعـــالمين خـــبـــالا
فُــصــمــت عــرى الإسـلام بــعــد وثــوقــهــا
ومـــن الـــشـــريـــعـــة قــطــعــت أوصــالا
ذهـــب الـــذي كـــان الــغــيــاث لــعــامــل
والـــنـــاس كـــلـــهـــم عـــليه عـــيـــالا

ومنها:

قــل لــلــذي قــد رام حــصــر صــفــاتــه
إرفــق بــنــفــســك قــد بــغــيــت محــالا

لا يسمح الزمن البخيل بمثله
ومتى ترى ليتيمةٍ أمثالا
لم يفقدوه وإنما فقدوا به
كل الورى والعز والإقبالا
كانت لهيبته القلوب خوافقاً
فاليوم ران[1] عن الضلوع زوالا

ومنها:

يا ذروة الشرف الرفيع وهضبة
العز الذي لا يستطاع منالا
كنت الغياث لعامل إن أجدبت
سنةُ فغيرت الجنوب شمالا
يأوي إليك لهيفهم فتغيثه
عجلاً وتحمل عنهم الأثقالا
فترى أبا ليتيمهم ومعوِّلاً
لضعيفهم ولمجتديك ثمالا[2]

---

(١) ران: غطّى.

(٢) ثمال: ملاذ.

فـالـيـوم قـد نـفـضـوا الأكـف وخـيـبـوا

حــســن الــظــنــون وقــطــعــوا الآمــالا

ومنها:

فـكـأن نـعـشـك طـور سـيـنـا فـوقـه

مـوسـى الـكـلـيم شـمـائـلاً وخـصـالا

إن يـحـمـلـوه عـلـى الـرقـاب فـإنـما

حمــلــوا بــه آيــة ســر الإلــه تــعــالى

ومنها :

فـلا أشـكـرنـك مـا حـيـيـت ولا أفـي

ممــا عــلي لــذرة مــثــقــالا

وهي طويلة، وللسيد المذكور في تاريخ وفاة المقدس المبرور:

لا بــارح الــرضــوان قــبــراً ضــمــه

وغـدى عـليه مـدى الـزمـان حـبـيـسـا

وسـقـى الـسـحـاب مـرواحـاً ومـغـاديا

جـدثـاً غـدى فـي تـربـه مـرمـوسـا

هــي تــربــة مــيــمــونــة تــاريــخــهــا
لــوجــود مــوســى قــدســت تــقــديــســا

وأنشد أيضاً:

حــمــلــوا نــعــشــك مــن فــوق الــرقــاب
فــاســتــخــفــوا حمــلــه وهــو الــهــضــاب
أيــواريــه عــلــى الــرغــم الــتــراب
وتــــرى خــــالية مــــنــــه الــــبــــلاد
حــمــلــوا نــعــشــاً بــه ســر الإلــه
جــبــلاً تــرتــقــي الــطــيــر ذراه
عــيــلــمــاً قــد أوســع الــنــاس نــداه
غــاض فــأغــبــر لــه وجــه الــوهــاد
أيــهــا الــحــامــل نــعــشــاً قــد حــوى
جــســمــه كــيــف أعــانــك الــلــه
لــه فــي قــبــر بــه مــوســى ثــوى
حــكــمــة الــبــاري وعــلام الــرشــاد

منها:

حــشــد الــنــاس عــلــيــه مــثــلــمــا
تحــشــد الــهــيــم عــلى ورد الــضــمــا

كـــم حـــشـــا ذاب وكـــم دمـــع هـــمـــى
مـــن عـــيـــون لم تـــذق طـــعـــم الـــســـهـــاد

ومنها لمؤلفه:

خـلـيـلـي هـل مـا فـرق الـدهـر جـامـع
وهـــل فـــائـــت ممـــا يـــؤمـــل راجـــع
وهـل يـنـظـم الـشـمـل الـشـتـيـت كـعـهـدنـا
ويجـــمـــع مـــا بـــين الأخـــلاء جـــامـــع
خـلـيـلـي نـوحـا وأسـعـداني عـلـى الـبـكـا
ولا تـــعـــذلاني فـــي الـــذي أنـــا صـــانـــع
فـلا قـلـب لـي حـتـى يـعـي عـذل عـاذل
وهـا مـسـمـعـي قـد أوقـرتـه الـفـجـائـع
فـطـر فـي سـفـوع[1] والـفـؤاد بـعـدة
كـشـؤبـوب[2] ودق[3] وبْـلـهُ مـتـتـابـع
أكـــفـــكـــف دمـــع الـــعـــيـــن ثـــم أرده
إليهـا فـطـرف الـعـين فـي الـقـلـب دامـع

---

(١) سفوع: السواد مع الشحوب.
(٢) شؤبوب: دفعة من المطر.
(٣) ودق: مطر.

ونفسي قد طارت شعاعاً من الأسى
لزفرة همٍّ لم تسعها الأضالع
أهيم ولا أدري إلى أين أنثني
كأني ضليل في المهاجر ضائع
أجوب الفيافي نفنفاً بعد نفنفٍ(١)
وأذرع عرض القفر والقفر واسع
عشية بلتني الدموع من الجوى
لداهية تصطك منها المسامع
خليلي كم من نكبة إثر نكبة
تزول لها شم الجبال الرواتع
غداة نعى الناعي بمن خلّقت به
مكارم عن إدراكها الطرف راجع
مجيب إلى الداعي لكل ملمة
إذا راعه من سطوة الدهر رائع
وهضبة مجد لا يرام منالها
وسيف إذا ما هزه الحق قاطع

(١) نفنف: الهواء وكل مهوى بين جبلين.

سحاب ندى في كل عام وأزمةٍ

وبدر هدى في جبهة الدهر ساطع

إذا ضمه دست[1] الفخار بمعشر

أشارت إليه بالأكف الأصابع

وما دام شانيه السباق بحلبة

إلى غاية إلا انثنى وهو ضالع[2]

لقد كان للإسلام أحرز معقل

إذا ما رمتهم بالخطوب القوارع[3]

إذا ما السنون الشهب صرعن نبتها

فراحته فيها سيول دوافع

جلى ظلمات الجهل عن واضح الهدى

فضوء سناه في سما الدين ساطع

بثاقب آراء وأبعد همة

تريك بظهر الغيب ما هو واقع

---

(١) دست: صدر المجلس.

(٢) ضالع: مائل.

(٣) القوارع: الشدائد.

دعاه إله العرش للخلد فانثنى
إليها فلبّى وهو لله طائع
فأصبح قلب الدين يخفق واجبا
عليه ووجه الدهر أقتم ساطع

منها:

فقدناك فقدان الثرى وبل مزنه
تجلَّت وفي أنوائها الروض طامع
فقدناك يا موسى ونحن على ظما
ولا شرب إلا ورد حوضك ناقع
سأرثيك جهدي ما استطعت على المدى
وأبكيك دهري كلما حنّ ساجع

ومنها:

ومالي لم استسق للقبر مزنةً
وهطالة وكافها[(١)] متتابع
فكيف وفيه البحر يطفح موجه
ومن فيضه ودق السحائب هامع

---

(١) وكاف: من وكف أي السيلان.

ومنها لجماعة أخرى من أدباء المشتغلين دون الطبقة الأولى منهم ذو الفهم الثاقب والرأي الصاحب زكي الأعراق جناب الشيخ عبد الكريم الزين وهي:

سـامـنـي الـدهـر فـوق مـا أسـتـطـيـع
وفـــؤادي خـــلية مـــنـــه الـــضـــلـــوع
لائـمـي فـي الـبـكـاء خـلـفـك عـنـي
لا عـــداك المصـــاب والـــتـــقـــريـــع
لـيـلـتـي لـيـلـة الـلـسـيـع ولـكـن
أيـــن مـــنـــي فـــي وجـــده الملـــســـوع
إنـمـا الـنـاس ظـاعـن[1] ومـقـيـم
وقـــريـــر الأجـــفـــان أو مـــفـــجـــوع
وفــؤاد مــن الــمــصــاب خــلــيّ
وفـــــؤاد مـــــن المصـــــاب مـــــروع
كـنـت لـلـدهـر لا يـلـيـن جـمـاحـي
بـالـرزايـا حـيـث الـصـبـور جـزوع

---

(١) ظاعن: سائر.

عــثــر الــدهــر فــاســتــلاب جــمــاحــي

وعـــــراني مـــــن المصـــــاب الخـــــشـــــوع

وغــدى الــوجــد يــســتــطــيــر فــؤادي

فـــأنـــا خـــافـــق الـــفـــؤاد صـــريـــع

ودمــوعــي ســيــل الــغــمــام فــمــنــهــا

لـــؤلـــؤ نـــاصـــع ومـــنـــهـــا نـــجـــيـــع

ضــامــر يــســبــق الــنــســيــم ولــكــن

لا تـــراهـــا تحـــس فـــيـــهـــا الـــربـــوع

إن تــخــطــيــت عــامــلا فــانــخــهــا

يـــتـــلالا لـــكـــن الخـــبـــاب المنـــيـــع

أعــلــم الــنــاس أحــلــم الــنــاس طــرا

أصـــبـــر الـــنـــاس إن دهـــاه الـــفـــظـــيـــع

زاهـــد فـــي ســـوى الإلـــه ولـــكـــن

فـــي ثـــنـــايـــا الخـــطـــب المهـــول طـــلـــوع

قــلــت لــلــمــجــتــديــن بــحــر نــداه

أيـــن مـــوســـى وإيـــن ذاك الـــصـــنـــيـــع

كــان فــيــنــا ربــيــع كــل الــبــرايــا

مـــثـــل مـــا كـــان فـــي الـــزمـــان الـــربـــيـــع

مـلأ الـخـافـقـين شـرقـاً وغـربـا
فـيـض جـود تـسـد فـيـه شـروع
إن يـكـن راعـه الـمـنـون بـخـسـف
طـالما كـان لـلـمـنـايـا يـروع
طـود حـلـم عـلـى الـسـمـاء تـعـالـى
طـالما فـي ذراه طـالـت ربـوع

ومنها: لذي الأخلاق اللطيفة الرائعة والهمم العالية الفائقة الجواد السباق جناب الشيخ جواد عبد الكريم:

نـعـى الـمـجـد الـمـؤثـل[1] والـكـمـالا
نـعـيٌ أورث الـدنـيـا خـبـالا
نـعـى فـانـهـارت الأرضـون حـزنـا
ولا جـبـل بـهـا إلا ومـالا
فـويـحـاً لـلـنـعـي كـيـف فـاهـت
بـه الـشـفـتـان ليت بهـا الـرمـالا
هـوى مـن عـامـل عـلـم رفـيـع
وعـرش الـديـن قـد ثُـلَّ انـثـلالا

---

(١) المؤثل: الدائم.

وديـــــن الله زلـــــزل جـــــانـــــبـــــاه

غـــــداة عـــــمـــــود ديـــــن الله زالا

لـــقـــد فـــلَّ الـــردى مـــنـــا حـــســـامـــاً

صـــقـــيـــلا فـــلّـــل الـــبـــيـــض الـــصـــقـــالا

وحـــطـــم مـــن قـــنـــا الـــخـــطـــيِّ[1] لـــدنـــاً

طـــويـــلا حـــطـــم الـــســـمـــر الـــطـــوالا

وهـــدم وقـــعـــه حـــصـــنـــاً مـــنـــيـــعـــا

عـــلى هـــام المجـــرة قـــد تـــعـــالا

وعـــاجـــل بـــالـــخـــســـوف أتـــم بـــدر

مـــدى الأيـــام قـــد لـــزم الـــكـــمـــالا

أيـــدري ويـــحـــه حـــســـمـــت يـــداه

لمن نـــشـــلـــت كـــنـــانـــتـــه الـــنـــبـــالا

بـــلـــى نـــشـــلـــت بـــقـــلـــب الـــديـــن ســـهـــمـــا

تـــزول لـــوقـــعـــه الـــدنـــيـــا زوالا

لـــئـــن عـــم الـــبـــلاد مـــصـــاب مـــوســـى

فـــكـــم قـــد عـــمّـــهـــا مـــنـــه نـــوالا

---

(١) الخطّي: نسبة إلى اسم الرمح.

مـضـى كـهـف الأرامـل والـيـتـامـى
لمن تـأوي وقـد فـقـدت ثـمـالا
مـضـى مـن كـان لـلـعـافـيـن غـوثـاً
وبـحـر نـدى إذا هـبـت شـمـالا
مـضـى حـمـال أعـبـاء الـمـعـالـي
وبـلـغـة كـل مـن يـرجـو نـوالا

ومنها لجناب الشيخ عبد الحميد شرارة:

مـا لـلـردى مـلـكـت عـلـيّ قـيـادي
وخـبـا بـمـفـرقـهـا ضـيـاء زنـادي
جـاءت بـأفـظـع نـكـبـة دهـت الـورى
لـبـسـت لـهـا الأيـام ثـوب سـواد
مـا لـلـردى يـا قـاتـل الله الـردى
كـم ذا تـسـل بـراثـن الآسـاد
هـدمـت مـن الإسـلام أرسـخ هـضـبـة
ورمـت عـمـاد عـلا وأي عـمـاد
عـلـم هـوى فـتـزايـلـت أعـلامـهـا
فـكـأنهـا كـانـت عـلى مـيـعـاد

بـــدر تـــعـــاجـــلـــه الأفـــول وطـــالـــمـــا

جـلى الـغـيـاهـب عـن سـبـيـل رشـاد

غـيـض الـنـدى مـن بـعـد مـوسـى والـقِـرى

غـــض الـــنـــبـــات وجـــف زرع الـــوادي

يـا بـلـغـة الـسـاريـن يـا غـوث الـورى

وغـــيـــاثـــهـــا يـــا كـــعـــبـــة الـــوفّـــاد

عـــهـــدي بـــه لا يـــســـتـــلـــيـــن لـــحـــادث

وقـــيـــاده صـــعـــب عـــلى المقـــتـــاد

كـــيـــف اســـتـــطـــاع بـــأن يـــنـــازلـــه الـــردى

وهـــو المجـــبـــن صـــولـــة الآســـاد

الـــلـــه أكـــبـــر يـــا لـــه مـــن فـــادح

عـــم الـــبـــلاد وفـــتّ فـــي الأعـــضـــاد

الـلـه أكـبـر قـد مـضـى عـلـم الـهـدى

مـــن ســـد فـــيـــه ثـــغـــر كـــل فـــســـاد

زجـوا الـرواحـل لـلـمـسـيـر وخـلـفـوا

وجـــدا بـــقـــلـــبـــي دائـــم الإيـــقـــاد

لـمـا مـضـوا عـنّـي وقـفـت بـربـعـهـم

أذري الـــدمـــوع روائـــحـــا وغـــوادي

هذا ما تيسر منها.

ومنها لزبدة الكرام الأجلاء وسليلة الأماجد الأصفياء الفرع النبيل والهمام الجليل جناب محمد أفندي الحاج حسن عبد الله وهي:

ألا فـلـيـنـح ديـن الإلـه مـدى الـدهـر
وأم الـعـلى تـذري مـن الـدمـع مـا تـذري
فـقـد دهـم الـخـطـب الـذي راح وقـعـه
يـقـلـب أحـشـاء الأنـام عـلى الجـمـر
فـجـعـنـا لـعـمـر الـلـه بـالـديـن والـهـدى
وبـالـذكـر والأحـكـام والـشـمـس والـبـدر
فـجـعـنـا بـقـطـب الـكـون أكـرم مـن غـدى
يـقـوم بـأمـر الله عـن صـاحـب الأمـر
فـجـعـنـا بـمـن كـانـت مـظـاهـر عـلـمـه
تـنـبـئـنـا مـا زاد عـلـمـاً عـن الحـصـر
فـجـعـنـا بـمـن عـيـن الـشـريـعـة فـجـرت
عـليه نـعـم الله فـي طـالـع الـفـجـر
فـجـعـنـا بـمـن قـد سـنَّ لـلـديـن سـنـة
تـزول الـليالي وهـي دائـمـة الـذكـر

ومنها:

لئن بلّ للشافي مصابك غلة
ففي مهجة العليا التهاب مدى الدهر

وإن زعم الأقوام أنك ميت
فحاشا يميت الله ما لك من فخر

سمكت على رغم الأنوف مراتبا
وحزت مقاماً دونه واقع النسر

وباسمك نادى الحق في كل موطن
وسار مسير الشمس في البر والبحر

ولو كان في الدنيا البقاء مفصلاً
لنال بها إبليس مستعظم الأجر

لك الفخر قد شيدت للدين دارساً
وأصبحت بين الناس كالكوكب البدر

أتيت إلينا مبطلاً كل بدعة
فكنت كموسى حين جاء إلى مصر

ملأت قلوب العالمين مواعظاً
تلين لها الصم الجلاد من الصخر

فشخصك شخص المرتضى بين قومه

وليلة أزمعت السرى ليلة القدر

ومنها لجناب الشيخ إبراهيم حمام:

تربت كفك يا دهر بما

نلت ما نلت فدع كل الورى

لا سقت منك الغيوث مربعاً

لا ولا بلغت غايات المنى

جئت في عاصفة قد نسفت

من سماء المجد أعلام الهدى

ورمت من عامل طوداً فلا

يرتقي الطير علاه والذرى

وانتضت كف المنايا صارما

وحساماً فبرت كف الندى

وأراشت أسهماً من يدها

فأصابت من حشى الدين القوى

ركزتها في حشا الدين فيا

حسرة لا تنقضي عمر المدى

فــجــعــتــنــا بــالــذي كــنــا بــه
نــلــتــجــي إن عــم كــرب وبــلا
فــجــعــتــنــا بــالــذي قــامــت بــه
شــرعــة الــهــادي الــنــبــي المصــطــفــى
فــجــعــتــنــا بــالــذي مــا كــرعــت
نــفــســه غــيــر كــؤســات الــعــلى
قــد مــضــى الــيــوم فــبــانــت مــهــجــتــي
وهــوى مــن بــين جــنــبــيّ الحــشــا
يــا حــشــا الــديــن ويــا قــلــب الــهــدى
إبــكــيــا مــوســى فــقــد حــق الــبــكــا
ومــضــى مــوســى ونــمــضــي بــعــده
كــل حــي ذائــق كــأس الــردى
إنــمــا الــدنــيــا ظــلال زائــل
أو كــبــرق قــد بــدا مــن ذي الحــمــى
إن مــوســى قــد مــضــى لــمــا رأى
شــأنهــا الــغــدر بــأربــاب الــنــهــى
رفــعــوه إنــمــا قــد رفــعــوا
هــضــبــة راســخــة لا تــرتــقــى

عجباً كيف استطاعوا حمله

وهو طود شامخ عالي الذرى

دفنوه والهدى في حفرة

كيف ضمته ووارته الثرى

ليتهم شقوا فؤادي والضلوع

وطووه بين قلبي والحشا

ومنها:

عج بوادي طور سينا وانخ

بمطاياك فقد خرّت أسفا

واخلع النعل وقبل تربه

حيث فيه حلّ موسى وثوى

وسقى الله ضريحاً ضمه

هاطل العفو على طول المدى

ومنها لبعضهم أيضاً:

ما بال أم المعالي فجَّرت اللّمما

وما لعين العلى قد كحلت بعما

وما لعرش الهدى هدت جوانبه
غداة قوض منه الركن وانهدما
أجل دهتنا لعمر الله فادحة
جلّى يقل لها فيض الدموع دما
فأصبح العالم السفلي في زجل
لفقد من كان للدين الحنيف حما
وإن بكا العالم العلوي فلا عجب
فإنما الدين والإسلام قد ثلما
يا راحلاً وعيون الخلق مرسلة
على الخدود بدمع بالدما انسجما
الحزن متصل في عامل أبداً
والصبر بعدما يا كهف الورى انعدما
فإن بكتك دما عمر الزمان فلا
تفي بمعشار ما أوليتها نعما
قد كنت غيثاً وغوثاً للعباد وإذا
جدب عراها وخطب في الورى دهما

ومنها:

كـأن نـعـشـك فـلـك سـارَ فـي لـجـج
مـــن الـــدمـــوع عـــليه الـــعـــالم ازدحمـــا
واروك فــي جـدث قـد ضـم بـدر هـدى
وشـمـس فـضـل زهـت نـورا ونـجـم سـمـا
يـهـنـيـك يـا قـبـره كـم فـيـك مـن حـكـم
ومــن فــخــار وبــحــر بــالــعــلــوم طــمــا

ومنها قصائد أخر لم يتيسر لنا إثباتها، وللطبقة الأولى رثاءً في أخ المرحوم المقدس العالم الفاضل الشيخ شيخ محمد شرارة تغمده الله بعفوه ورحمته.

ولقد استغنينا عن وصف آثاره وذكر جميل أخباره بما أوردنا في وصف أخيه المقدس، لأنهما رضيعا لبان وفرسا رهان، وفرعان قد بسقا في دوحة الكمال والمجد، وغصنان قد سمقا في جرثومة الحمد، ويحق أن يقال في مثل هذا المقام: فرعان في دوحة العلياء قد بسقا، غصنان للمجد في جرثومة الحمد، نجمان شعّا بأفق الدين فاتضحت سبل الهداية والمعروف مذ خلقا. قد جريا في حلبة الغمار وتناوشا قصب السبق في كل غاية، إلا أن المرحوم المقدس قد بلغ من الدرجة العلية ما لا

يبلغه أحد ممن تقدم أو تأخر، وأما أخوه الشيخ محمد فلمّا كان قريباً من أن يراهق تلك الدرجة فاجأته نكوس الأقدار، ودهته صروف الدهر الخؤون، ودعاه داعي ربه، فأجاب مطيعاً ولبى إليه باختياره، وكانت وفاته ودفنه في المشهد الغروي بالعراق في السنة الثالثة بعد الثلاثمائة والألف في الشهر الذي توفي فيه أخوه المرحوم المقدس وهو ليلة الخامس عشر من شهر شعبان المبارك، فعظم المصاب وجلت الرزية فرثته التلامذة المتقدم ذكرهم وغيرهم من الأدباء بشعر أزرى بالدر النضيد والعقد الفريد منهم:

السيد نجيب الدين المتقدم ذكره ومنهم الشيخ موسى مغنية ومنهم الشيخ حسين مغنية ومنهم السيد محسن أمين ومنهم المؤلف، ولقد رثاه من أهل الفصاحة والبلاغة لولا الإطناب لأوردنا كل ما قيل فيه من المراثي بتمامها.

تم تأليفه بعون الله على يد أقل العباد عملاً وأكثرهم زللاً محمد رضا فضل الله الحسني والله المستعان على كل أمر إنه ولي كل أمر وإليه المرجع والمآب.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أحمد، **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، لا طبعة، بيروت، ١٩٧٢.

ـ الاردوباي، محمد علي، **سبائك التبر**، مخطوط.

ـ آل صفا، محمد جابر، **تاريخ جبل عامل**، لا طبعة، بيروت، دار متن اللغة، لات.

ـ الأمين، محسن، **أعيان الشيعة**، حققه حسن الأمين، الطبعة الثانية، بيروت، دار التعارف، ١٩٨٦.

ـ البروجردي، علي أصغر، **طرائف المقال، في معرفة طبقات الرجال**، تحقيق مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٠هـ.

- الجواهري، محمد حسن، **جواهر الكلام**، مقدمة محمد رضا المظفرة، لا طبعة، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الخاقاني، علي، **شعراء الغري**، لا طبعة، النجف الأشرف، دار البيان والنجفيات، لات.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، **الإعلام**، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- الشاكري، حسين، **علي في الكتاب والسنَّة**، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٨هـ.
- الصدر، حسن، **تكملة أمل الآمل**، لا طبعة، قم، ١٤٠٦هـ.
- الطهراني، آغا بزرك، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٣م.
- فضل الله، يوسف، **منارة الفقهاء**، الطبعة الأولى، بيروت، دار البلاغة، ٢٠١٠م.
- القمي، عباس، **الكنى والألقاب**، لا طبعة، لات.

المحتويات

تقديم ٥
المؤلِّف العلاّمة السيد محمد رضا فضل الله ١٧
الفقيه الشاعر ١٧
مؤلفاته وأشعاره ٢١
أ ـ من أشعاره ٢١
ب ـ ترجمة الشيخ شرارة ٢٤
العلاّمة الشيخ موسى أمين شرارة ٣١
المقدمة ٣٣
العَلَم العلاّمة ٤٢
نشأته ودراسته في جبل عامل ٤٢
في النجف الأشرف ٤٤
العودة إلى الوطن ٥١

صفاته ٥٧

آثاره العلمية ٥٨

ذكر يوم وفاته وما قيل فيه من الرثاء ٦٢

أشعاره ٦٧

مدائحه ومراثيه ٩١

مدائحه ٩٢

مراثيه ٩٩

المصادر والمراجع ١٢٥

المحتويات ١٢٧